بسمه تعالی

التفسير التمهيدي

(الدرس ١)

کارشناسی

المقدمة

الهدف من هذا الدس هو التعرف على التفسير، ومصادره، ومناهجه، حيث سنتناول فيه معنى التفسير لغة واصطلاحاً، ونذكر لمحة موجزة عن تاريخ التفسير، ونشير إلى مناهج واتجاهات التفسير وأهم التفاسير الروائية التي دونت.

بحوث تمهيدية

الهدف: التعرف على التفسير، ومصادره، ومناهجه

التفسير والتفاسير

معنى التفسير

" ... وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ..." [١].

التفسير في اللغة هو الكشف والبيان[٢].

وفي الاصطلاح، هو إيضاح إبهام كلمات وجمل القرآن، وبيان مقاصدها وأهدافها[٣].

لمحة عن تأريخ التفسير

أول مفسر للقرآن هو النبي الأكرم(ص)حيث أمره الله تعالى ليبين للناس ما نزل إليهم[٤]، ومن هنا فقد تولى مهمة بيان مضامين الآيات القرآنية، والإجابة على أسئلة الصحابة المتعلقة بتفسيرها

ومن ثمَّ ضلع بهذه المهمة الإمام علي(ع)والأئمة المعصومين(ع)وبعض الصحابة والتابعين، وفي العصور التي تلتها دونت أحاديثهم التفسيرية فظهر ما يعرف بالتفاسير الروائية، ومن جملة التفاسير الروائية الشيعية؛ تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي(م٣٢٠ق)؛ وتفسير الصافي للفيظ الكاشاني (م١٠٩١؛ وتفسير البرهان للبحراني (م١١٠٧ق)؛ وتفسير نور الثقلين للعروسي الحويزي (م١١١٢ق).

وأمَّا عند أهل السنة فظهرت تفاسير منها: تفسير جامع البيان للطبري (٣١٠ق)؛ وتفسير الدر المنثور للسيوطي (٩١١ق)

وفي القرون التي تلتها ظهر ما يعرف بالتفاسير الاجتهادية، فالمفسرون بالإضافة إلى اعتمادهم على الأحاديث بيَّنوا آراؤهم التفسيرية، ومن جملة التفاسير الشيعية التي

---

(١) النحل،٤٤.

(٢) أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، وقاموس القرآن، مادة فسَر.

(٣) أنظر: الميزان: ج١، ص٤؛ مدخل التفسير العلمي للقرآن، للمؤلف، ص٩٣٥.

(٤) قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت،ج ١، ص ٣٣

ظهرت هي: تفسير التبيان للشيخ الطوسي (٤٦٠ق) ؛ وتفسير مجمع البيان للشيخ الطوسي (٥٤٨ق)؛ وتفسير روض الجنان لأبي الفتوح الرازي (القرن السادس)؛ وتفسير الميزان للعلّامة الطباطبائي (١٤٠٢ق)؛ وتفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي (معاصر) [١].

تفسير الكشاف للزمخشري(٥٣٨ق)؛ وتفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٦٠٢ق)؛ وتفسير أنوار التنزيل للبيضاوي (٦٩١ق)؛ وتفسير في ظلال القرآن لسيد قطب (١٣٨٦ق).

مناهج واتجاهات التفسير

ظهرت بين المفسرين مناهج تفسيرية متعددة، ومنها؛ منهج تفسير القرآن بالقرآن، والمنهج العقلي، والروائي، والعلمي، والإشاري (الباطني، الصوفي، الشهودي)، وأيضاً ظهر التفسير بالرأي الممنوع والمحرم شرعاً[٢]، وهكذا ظهرت في عالم التفسير الاتجاهات الاجتماعية، والفقهية، والكلامية، والفلسفية، والأدبية، وغيرها[٣].

مسائل

ألف) يعد تفسير القرآن علم شريف ومهم، كما أن القرآن هو الثقل الأكبر، فعلم التفسير وعلوم القرآن إضافة إلى ما كانت تتمتع به من مكانة رفيعة صارت تعد اليوم علوماً مستقلةً ضمن العلوم الإسلامية.

ب) إن هدف القرآن الكريم هو تربية الإنسان وهدايته في طريق الله، ومن هنا ينبغي أن يلتفت الباحثون في القرآن إلى هذا الهدف ويسعون إلى أن يأخذوا من القرآن الدواء الناجع للأمراض الاجتماعية، والأخلاقية ، والعقائدية، ويطبقوها على حياتهم.

ج) لعلم التفسير درجات ومراتب متعددة، ومن أجل الفهم والتفسير الأمثل لكل آية أو موضوع قرآني ينبغي أن يٌستفاد من جميع المناهج والاتجاهات الصحيحة (بما يناسب كل موضوع)؛ وكذلك الرجوع إلى تفاسير المتقدمين والتدبر في الآيات. وهذا الأمر بحاجة إلى جهد وتخصص كافيين، ومن هنا فإن من الأفضل في الخطوة الأولى أن

---

(١) أنظر: عقيقي بخشايشي، طبقات مفسران شيعة؛ مؤدب، روشهاي تفسير قرآن.

(٢) أنظر: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للمؤلف؛ ومؤدب، روشهاي تفسير قرآن؛ وعلوي مهر،روشها وگرايشهاى تفسيرى.

(٣) نفس المصدر..

نتعرف على المحتوى القرآني بصورة مبسطة وسلسة، وفي الخطوات اللاحقة يستفاد من التفاسير الأخرى والمناهج والاتجاهات المختلفة.

إن مطالعة هذا الكتاب تمثل الخطوة الأولى في مجال التعرف على محتوى السور القرآنية، وتمهد الأرضية لمتابعة هذا العلم.

الخلاصة

١.إن أول مفسر للقرآن هو النبي محمد (ص)

٢. كان التفسير في طوره الأول يعتمد على الرواية.

٣. ظهرت في عالم التفسير عدة مناهج واتجاهات من أهمها منهج تفسير القرآن بالقرآن ومنهج التفسير الروائي.

بسمه تعالی

التفسیر التمهیدی

(الدرس ۲)

کارشناسی

المقدمة

هدف هذا الدرس هو التعرف على خصائص سورة الحمد، وتفسيرها ، وسنتناول في هذا الدرس نزول سورة الحمد ونذكر أسمائها، ونبين السمة الخاصة لهذه السورة ونذكر أهدافها ومضامينها.

سورة الحمد

الهدف: التعرف على خصائص سورة الحمد، وتفسيرها

خصائص سورة الحمد

نزلت سورة الحمد في مكة، وهي سبع آيات، وتسع وعشرون كلمة، ومائة واثنان وأربعون حرفاً، وهي السورة الأولى في الترتيب الفعلي للقرآن الكريم، والسورة الخامسة من سور القرآن في مكة، وقال البعض إنها نزلت في المدينة[١].

أسماء هذه السورة هي: الحمد، الوافية، الشكر، السبع المثاني، النور، أُمّ الكتاب، الأساس، الكافية، الكنز، أُمّ القرآن، المناجاة، الشفاء، الدعاء، الصلاة.

وسميت (فاتحة الكتاب) لافتتاح المصاحف بكتابتها و لوجوب قراءتها في الصلاة فهي فاتحة لما يتلوها من سور القرآن في الكتاب و القراءة، وسميت (الحمد) لأن فيها ذكر الحمد وافتتحت بالحمد (الحمد لله).

وفيما يتعلق بفضيلة هذه السورة فقد روي عن النبي(ص)أنه قال:(أيما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أعطي من الأجر كأنما قرأ ثلثي القرآن و أعطي من الأجر كأنما تصدق على كل مؤمن و مؤمنة)[٢].

ملاحظة: ربما يكون تعبير ثلثي القرآن؛ لأن سورة الحمد تقسم إلى قسمين التوحيد والقيامة، وهي من المباحث الرئيسية في القرآن، حيث تشمل التوحيد والقيامة والأحكام.

---

(١) التمهيد، ج١، ص١٣٥، ١٤٧.

(٢) أنظر: البرهان، ج١، ص٤٢؛ مجمع البيان وتفسير الأمثل، ذيل سورة الحمد.

السمَة الخاصَّة لسورة الحمد

جميع سور القرآن هي كلام الله تعالى وخطابه إلى الناس؛ غير أن لحن هذه السورة وسياقها يتضمن كلام الناس وخطاب إلى الله؛ وهذا يعني أن القرآن الكريم يُعَلِّم الناس أسلوب المناجاة والخطاب مع الله(تبارك وتعالى).

أهداف سورة الحمد

الأهداف والمقاصد الكلية لهذه السورة العظيمة هي:

١.بيان الأصول الأساسية للدين، وهي: التوحيد، النبوة، المعاد.

٢.سورة الحمد تبيين الحاجة والعشق والدعاء؛ أولها الرحمة، وسطها الإخلاص، وآخرها الدعاء. وهذه السورة هي تَبَلور الدعاء بلا واسطة مع الله، ونوع من تعليم الخطاب المباشر معه (جل جلاله).

إشارة إلى مضامين السورة

إن أهم ما نلحظه من مضامين هذه السورة ما يلي:

١..النعم وتربية جميع المجودات من معين الذات المقدسة لله تعالى: "...رَبِّ الْعَالَمِينَ...".

٢.الاهتمام بالمعاد وحاكمية الله المطلقة في القيامة: "...مَلِكِ يَوْمِ الدِّين...".

٣.طلب الهداية في طريق أهل الحق: "... اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ... ".

٤. في هذه السورة الصراط المستقيم مستقل عن طريق المغضوب عليهم والضَّالين.

الخلاصة

١. سورة الحمد مكية وقيل مدنية.

٢. سميت (فاتحة الكتاب) لافتتاح المصاحف بكتابتها و لوجوب قراءتها في الصلاة.

٣. أن لحن هذه السورة وسياقها يتضمن كلام الناس وخطاب إلى الله.

٤. الأهداف والمقاصد الأساسية لهذه السورة هي بيان الأصول الأساسية للدين.

بسمه تعالی

التفسير التمهيدی

(الدرس ٣)

کارشناسی

مقدمة

يشير القرآن الكريم في الآية الثانية من سورة الحمد إلى حمد الله وصفات الخالق، فيقول: **"الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"**، وسنتناول في هذا الدرس المفردات المتعلقة بهذه الآية، وإلى فوائد لغوية، وإلى الدروس والعبر المستخلصة من هذه الآية.

سورة الحمد

توضيح

الآية الأولى من سورة الحمد تبتدئ بذكر الله ورحمته الواسعة، وهي تشير إلى تربية الله وأمره بالحمد فقال: "الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ".

مفردات الآية

١. **الحمد**: الثناء عليه بالفضيلة،وهو أخص من المدح وأعم من الشكر، فإن المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره[١].

٢. **رب:** الرب في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام[٢]. وكلمة (الرب)، وإن كانت تعني في الأصل المالك والصاحب، تتضمن معنى الصاحب المتعهّد بالتربية.

٣. **العالمين:** وهو في الأصل اسم لما يعلم به كالطابع والخاتم لما يطبع به ويختم به، وجعل بناؤه على هذه الصيغة لكونه كالآلة، والعالم آلة في الدلالة على صانعه. (عالمين) وأما جمعه فلأن من كل نوع من هذه قد يسمى عالما، فيقال: عالم الإنسان، وعالم الماء، وعالم النار وأما جمعه جمع السلامة فلكون الناس في جملتهم، والإنسان إذا شارك غيره في اللفظ غلب حكمه، وقيل: إنما جمع هذا الجمع لأنه عني به أصناف الخلائق من الملائكة والجن دون غيرها.وهو يشبه ما قاله الإمام جعفر بن محمد(ع): عني به الناس وجعل كل واحد منهم عالما لعالم عالمان الكبير وهو الفلك بما فيه،

---

(١) أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة حمد. و«المدح» هو الثناء بشكل عام، سواء كان لأمر إختياري أو غير إختياري، كمدحنا جوهرة ثمينة جميلة. ومفهوم المدح عام، بينما مفهوم الحمد خاص. أمّا مفهوم «الشكر» فأخصّ من الاثنين، ويقتصر على ما نبديه تجاه نعمة تغدق علينا من منعم عن اختيار، (الأمثل،ج١، ص٧٣).

(٢)أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة رب،

والصغير وهو الإنسان لأنه مخلوق على هيئة العالم، وقد أوجد الله تعالى فيه كل ما هو موجود في العالم الكبير[١].

فوائد أدبية

الألف واللام في قوله تعالى (الحمد) للجنس؛ ومن هنا فإنها تكون شاملة لكل أنحاء الحمد.

ملاحظات

١. مفردة **(الحمد)** الثناء على عمل أو صفة طيبة مكتسبة عن اختيار، وهذه المفردة شاملة فكل حمد وثناء يختص بالله سبحانه دون سواه [٢]؛ لأن الله تعالى هو منبع كل النعم ومصدر كل الهداية، ففي الحقيقي أن شكر كل جمال ونعمة هو شكر لله تعالى.

٢. مفردة **(الرب)** بمعنى المالك والصاحب، المتعهّد بالتربية، ويرى بعض المفسرين أنه بمعنى (السيد المطاع)[٣].

٣. مفردة **(عالمين)** للمفسرين فيها رأيان، فقد ذهب البعض إلى أن كلمة «عالمين» جمع «عالم»، والعالم: مجموعة من الموجودات المختلفة ذات صفات مشتركة، أو ذات زمان ومكان مشتركين كأن نقول: عالم الإنسان، وعالم الحيوان، وعالم النبات[٤]، وقد ورد هذا المعنى في حديث الإمام علي(ع)حيث قال: (هم الجماعات من كل مخلوق من الجمادات والحيوانات)[٥].

ويرى مفسرون آخرون أن (العالمين) بمعنى (بني الإنسان)؛ لأن هذه المفردة تستعمل للمجموعات العاملة[٦]، وهو ما حكي عن الإمام الصادق(ع) من أن المقصود من العالم الصغير هو الإنسان [٧].

---

(١) أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة علم، ص٣٥٧.

(٢) لأن الألف واللام لاستغراق الجنس.

(٣) مجمع البيان، ج١، ذيل الآية.

(٤) تفسير الأمثل، ج١، ص ٣٧.

(٥) تفسير نور الثقلين، ج١، ص١٧.

(٦) والدليل هو أن هذه المفردة جمعة جمعاً مذكراً سالماً.

(٧) أنظر: المنار ،ج١، ص٥١؛ مفردات الراغب الأصفهاني، ذيل مادة علم.

وبالالتفات إلى مفردة (عالمين) في القرآن فإننا نجدها قد استعملت بمعنيين بمعنى(الناس)، وبمعنى (الموجودات)[١]، ولا مانع من أن يكون مقصود الآية كلا المعنيين[٢].

وإن كان المعنى الثاني يعد مصداقاً للمعنى الأول، وهذا يعني أن الله تعالى هو المربي لجميع الموجودات ومن بينها الإنسان.

١. تعبير (رب العالمين) دليل لـ(الحمد لله)؛ لأن الله مربي بني الإنسان، وكل فضل وتكامل منه تعالى، الحمد الخاص له.

٢. الله تعالى هو مربي الموجودات والإنسان وذلك من خلال طريقين؛ أولهما التربية التكوينية والتي تنمي وتهدي جميع الموجودات من النباتات والحيوانات والناس؛ والثاني عن طريق التربية والهداية التشريعية والتي تتم عن طريق الوحي والقادة الإلهيين.

٣. تعد هذه الآية إشارة لطيفة إلى دليل (وجوب شكر المنعم)، فالآية الأولى ابتدأت بذكر اسم الله ورحمته الواسعة، وتذكر الإنسان بينبوع الوجود الصافي، هذه النعم التي تهدينا لمعرفة الخالق "جل وعلا"، وهذه الذكرى التي توقظ في الإنسان دافع الشكر.

٤. هذه الآية ترسم الخط الباطل لعقائد اليونان، والكلدان والرومان والبروتستان الباطلة والقائلين بوجود (رب النوع) للكائنات والعالم، ومن هنا فإنهم يعتقدون بالآلهة المتعددة. غير أن هذه الآية الكريمة تعرف إلهاً واحداً للعالمين، وتكف الزيغ عن الخط الباطل للآلهة المصطنعة والكاذبة.

دروس وعبر

١. جميع الموجودات تحت ظل تربية الله تعالى وعنايته: **"...رَبِّ الْعَالَمِينَ..."**.

٢. الله تعالى وحده مستحق للحمد: **الْحَمْدُ للَّهِ..."**.

٣. كل نعمة وتربية هي من الله وشكره تعالى بدلاً منها. (وفي كل ليل ونهار نكررها مراراً).

---

(١) وقد ذكر صاحب تفسير الأمثل هذا المعنى في تفسير الآية ٢٣_٢٤ سورة الشعراء والآية ٣٦ سورة الجاثية.

(٢) ونحن نقبل في أصول الفقه قاعدة إستعمال اللفظ في أكثر من معنى.

الخلاصة

١. الحمد أخص من المدح وأعم من الشكر.

٢. الرب مشتق من التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام.

٣. للمفسرين في معنى العالمين رأيان الأول؛مجموعة من الموجودات المختلفة ذات صفات مشتركة، أو ذات زمان ومكان مشتركين والثاني؛ بمعنى (بني الإنسان).

٤. الألف واللام في قوله تعالى (الحمد) للجنس؛ ومن هنا فإنها تكون شاملة لكل أنحاء الحمد.

بسمه تعالی

التفسير التمهيدى

(الدرس ٤)

کارشناسی

مقدمة

سنتعرض في هذا الفصل إلى تفسير مختصر للآيات الثالثة والرابعة والخامسة من سورة الحمد فنبين بعض المفردات ونشير إلى الملاحظات والدروس المستخلصة منهما.

سورة الحمد

توضيح

قوه تعالى: "...الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ...".

أُشير في الآية السابقة إلى صفة تربية الله تعالى، وفي هذه الآية إشارة إلى صفة أخرى وهي: "...الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ...".

ملاحظات

١. بينا في ذيل الآية الأولى من هذه السورة وبشكل واضح ما يتعلق بـ(الرحمن الرحيم)، وأما تكرار هاتين المفردتين هنا فلغرض تكميل دليل الحمد، بمعنى الشكر الخاص لله تعالى، لأنه المربي والراعي وجميع الموجودات تحت ظل رحمته الواسعة، هذه الرحمة التي تعم المؤمنين، ونفس رحمته اللائقة بشكر الناس له.

٢. يكرر المسلمون في صلواتهم الواجبة هاتين الصفتين الإلهيتين في كل يوم ثلاثين مرة وبذلك يصفون الله برحمته ستين مرّة يومياً.

٣. إنّ خلق الله ورعايته وحاكميته تقوم على أساس الرّحمة والرّحمانية، وهذا المبدأ يشكّل المحور الأساس لنظام رعاية العالم، و(الرحمن الرحيم) تشير إلى أن الله تعالى في نفس الوقت مالك ومربي ذو قدرة وليس قاس، وهو رؤف بعباده[1].

دروس وعبر

١. رحمة الله واسعة وشاملة للعالمين ورحمته الخاصَّة لمحبيه؛ ومن هنا يحمد ويشكر.

٢. ربكم رؤف رحيم وهو معروف بهذه الصفة.

٣. أن نذكر الرحمة الإلهية ونكررها.

---

(١) أنظر: تفسير الأمثل، ج١، ص ٢٠.

٤
ذكر الآخرة

قوله تعالى: "مَـلِكِ يَوْمِ الدِّين".

يذكر القرآن الكريم في الآية الرابعة من سورة الحمد القيامة فيقول: "مَـلِكِ يَوْمِ الدِّين".

توضيح

أشير في الآيات السابقة إلى مبدأ الوجود وصفاته، وفي هذه الآية ذكر العاقبة وذكر المعاد، فالله تعالى هو مالك يوم الدين والجزاء.

المفردات

١. **مالك:** هو المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور[١].

٢. **الدين**: والدين يقال للطاعة والجزاء، واستعير للشريعة، والدين كالملة، لكنه يقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة[٢].

ملاحظات

١. مفردة (مالك) بمعنى الشخص الصاحب الاختيار في التصرف بالشيء، غير أن هذا التعبير بالنسبة للإنسان يشير إلى المالكية الاعتبارية ملكيتنا هذه عقد يبرم بموجب تعامل ووثائق، وينفسخ بموجب تعامل آخر ووثائق أخرى، وأمّا مالكية الله تعالى في ذلك اليوم دون شك ليست ملكية اعتبارية، نظير ملكيتنا للأشياء في هذا العالم.. لكن ملكية الله لعالم الكون ملكية حقيقية، تتمثل في إرتباط الموجودات ارتباطاً خاصاً بالله. ولو انقطع هذا الارتباط لحظة لزالت الموجودات[٣].

٢. مفردة (الدين) قد تأتي بمعنى الشريعة[٤]، وقد تأتي بمعنى (الجزاء)، ومن هنا فقد ذكر المفسرون لتعبير(مالك يوم الدين) تفسيرين: (مالكية الله ليوم الجزاء) أو(مالكية الله ليوم الدين).

---

(١) مفردات الراغب الأصفهاني، مادة ملك.

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني، مادة دين؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٣، ص٢٦٩؛ كتاب العين، ج٨، ص٧٣.

(٣) نموذج على هذا النوع من المالكية ملكيتنا لأعضاء البدن.

(٤) أنظر: الأنعام، آية ١٦١؛ آل عمران، آية ١٩,

وأما سبب تسمية هذا اليوم بيوم الدين، فلأن يوم القيامة يوم الجزاء، و (الدين) في اللغة (الجزاء)، والجزاء أبرز مظاهر القيامة، ففي ذلك اليوم تكشف السرائر ويحاسب النّاس عما فعلوه بدقة، ويرى كل فرد جزاء ما عمله صالحاً أم طالحاً[1].

ويمكن أن يكون المقصود في الآية كلا المعنيين بمعنى أن يوم القيامة يوم الحساب لكل شخص على أساس دينه.

١. في حال كون الله تعالى مالكاً للدنيا والآخرة نجد في هذه الآية حديث عن مالكية الله في يوم القيامة؛ ومالكيته تتجلى بشكل واضح في يوم القيامة؛ لأن جميع الارتباطات المادية ومالكيتها الاعتبارية ضعيفة، ولا يعد الشخص مالكاً لأي شيء، ومن هنا يتضح أن المالك الحقيقي لكل شيء هو الله.

٢. إن الاعتقاد بالمعاد يكمل عقيدة التوحيد، يعني يوضح مبدأ ونهاية العالم. وهذه العقيدة هي عامل قوة لترقية مهارات الناس ونبذ الأعمال السيئة، والمخالفة للقانون.

٣. في الآية تكميل لاختصاص الحمد بالله تعالى، فقد بينت أن الله تعالى هو مالك يوم الجزاء، وعليه لا ينبغي قصد غيره بالحمد والشكر لأنه خاص به (جل جلاله).

٤. الآية تنبه إلى ضرورة مراقبة السلوك؛ لأن مالك يوم القيامة هو الله تعالى، وفي ذلك اليوم تكون القوانين الدينية هي الحاكمة على الأقدار.

٥

التوحيد العبادي والأفعالي

قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ".

يتحدث القرآن الكريم في الآية الخامسة من سورة الحمد عن التوحيد العبادي والأفعالي فيقول: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ".

توضيح

ذكرت الآيات السابقة التوحيد الذاتي وصفات الله، وهذه الآية تشير إلى التوحيد العبادي "إِيَّاكَ نَعْبُدُ..."، ومن ثمَّ تشير الآية إلى التوحيد الأفعالي، بلسان العباد يطلبون المدد من الله "...وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ".

---

[1] أنظر: تفسير الأمثل، ج١، ص ٤٧.

المفردات

١. العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى [١].

٢. الاستعانة: من العون، أي المعاونة والمظاهرة[٢].

فائدة لغوية

تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، وفي هذه الآية قدم المفعول وهو (إياك) وعليه تنحصر العبادة بالله وحده لا شريك له.

ملاحظات

١. في هذه الآية يتغيّر لحن السّورة، إذ يبدأ فيها دعاء العبد لربّه والتضرّع إليه. الآيات السابقة دارت حول حمد الله والثناء عليه، والإقرار بالإيمان والاعتراف بيوم القيامة، وفي هذه الآية يستشعر الإنسان ـ بعد رسوخ أساس العقيدة ومعرفة الله في نفسه ـ حضوره بين يدي الله ... يخاطبه ويناجيه، يتحدث إليه أولا عن تعبّده، ثم يستمد العون منه وحده دون سواه.

٢. في هذه الآية إشارة إلى التوحيد العبادي[٣]، وهو يعني الاعتراف بأن الله سبحانه هو وحده اللائق بالعبادة والطاعة والخضوع، وبالتشريع دون سواه، كما يعني تجنب أي نوع من العبودية والتسليم، لغير ذاته المقدسة.

٣. التوحيد الأفعالي: هو الإيمان بأن الله هو المؤثر الحقيقي في العالم (لاَ مُؤَثِّرَ فَي الْوُجُودِ إلاَّ الله). وهذا لا يعني إنكار عالم الأسباب، وتجاهل المسببات، بل يعني الإيمان بأن تأثير الأسباب، إنّما كان بأمر الله، فالله سبحانه هو الذي يمنح النار خاصية الإحراق، والشمس خاصية الإنارة، والماء خاصية الإحياء.

٤.هذه الآية تحرر الإنسان من الإنشاد لغير الله وتربطه به وحده، والمؤمن يكرر هذه الجمل في الصباح والمساء حتى يستلهم القوة منه ويذكره قبال هوى النفس ورغباتها.

---

(١) أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة عبد؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٨، ص١٢.

(٢) أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة عون.

(٣) يقسم التوحيد إلى قسمين نظري وعملي، فالتوحيد النظري هو التوحيد الذاتي والتوحيد الصفاتي، وأمّا التوحيد العملي فيشمل التوحيد العبادي والأفعالي، وهناك تقسيمات أخرى للتوحيد سنشير إليها لاحقاً.

٥.الآية تفيد الحصر[١] أي أننا نعبدك دون سواك ونستعين بك دون سواك، بالشكل الذي حتى في عبودية الله نكون بحاجة إلى عونه ونستعين به حتى لا نبتلى بالانحراف.

٦. كلمة «نَعْبُدُ» و«نَسْتَعِينُ» بصيغة الجمع تشير إلى أن العبادة ـ خاصة الصلاة ـ تقوم على أساس الجمع والجماعة. وعلى العبد أن يستشعر وجوده ضمن الجمع والجماعة، حتى حين يقف متضرّعاً بين يدي الله، فما بالك في المجالات الأُخرى! وهذا الاتجاه في العبادة يعني رفض الإسلام لكل ألوان الفردية والإنعزال[٢].

٧.للطلب من الله تعالى ينبغي أن نكون مستعدين، يعني أولاً نذكر أسمه، ونذكر صفاته الحسنة، ونحمده، ومن ثم نطيعه، وبعد العبودية نطلب مدده وعونه.

دروس وعبر

١. لا معبود سوى الله، فالعبادة له وحده: "...إِيَّاكَ نَعْبُدُ..."

٢. أن لا نطلب العون بالاستقلال من غير الله تعالى ونستعين به وحده: "...إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"

٣. أن نكون في الدعاء مجتمعين"... نَعْبُدُ ، نَسْتَعِينُ...".

الخلاصة

١. إنّ خلق الله ورعايته وحاكميته تقوم على أساس الرّحمة والرّحمانية، وهذا المبدأ يشكّل المحور الأساس لنظام رعاية العالم.

٢. مالكية الله تعالى في يوم القيامة دون شك ليست ملكية اعتبارية، نظير ملكيتنا للأشياء في هذا العالم.. لكن ملكية الله لعالم الكون ملكية حقيقية.

٣. مفردة (الدين) قد تأتي بمعنى الشريعة، وقد تأتي بمعنى (الجزاء).

٤. تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، وفي قوله تعالى"إِيَّاكَ نَعْبُدُ..." قدم المفعول وهو (إياك) وعليه تنحصر العبادة بالله وحده لا شريك له.

٥. التوحيد الأفعالي: هو الإيمان بأن الله هو المؤثر الحقيقي في العالم.

٦. كلمة «نَعْبُدُ» و«نَسْتَعِينُ» بصيغة الجمع تشير إلى أن العبادة ـ خاصة الصلاة ـ تقوم على أساس الجمع والجماعة.

---

(١) تقديم >إياك< على جملة >نعبد ونستعين< يدل على الحصر.

(٢) إلا في بعض الموارد كالصلاة المستحبة فإنها لا تصح جماعةً.

بسمه تعالی

التفسير التمهيدی

(الدرس ۵)

کارشناسی

مقدمة

نبحث في هذا الدرس في تفسير الآيتين السادسة والسابعة من سورة الحمد، ونبين معنى الهداية ونتعرض إلى الخطوط الأساسية الثلاثة في حياة البشرية.

قوله تعالى: "اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ".

طلب الهداية

توضيح

في الآية السابقة طلبنا من الله العون، و في هذه الآية نطلب من الله الهداية فنقول: (اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ).

المفردات

١. **الهداية**: من مادة (هدى) دلالة بلطف، ومنه: الهدية[١].

٢. **الصراط**: الصراط: الطريق المستقيم[٢]، أو من مادة (سرط) الطريق المستسهل، أصله من سرطت الطعام وزردته: ابتلعته[٣].

٣. **المستقيم**: الاستقامة يقال في الطريق الذي يكون على خط مستو[٤]. وأقرب طريق بين نقطتين هو الصراط المستقيم.

فائدة لغوية

مفردة (صراط) في لغة قريش بالصاد؛ غير أنها عند عموم العرب بالسين حيث أبدلت السين بالصاد[٥]، وقد اعتبر بعض أهل اللغة أن المفردتين مستقلتان[٦].

---

(١) مفردات الراغب الأصفهاني، مادة هدى؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١١، ص٢٤٧.

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني، مادة >صراط<

(٣) مفردات الراغب الأصفهاني، مادة>سراط<.

(٤) مفردات الراغب الأصفهاني، مادة>قَوَمَ<.

(٥) أنظر: التهذيب، ج١٢، ص٣٢٩، وكذلك معجم مقاييس اللغة وغيره.

(٦) أنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٦، ص٢٢٧ >مادة صرط<.

ملاحظات

١. في الآيات الخمس الأولى من سـورة الحمـد طـرح موضـوعا التوحيـد والمعـاد، و هـذه الآية تتحدث عن الهداية وهي من أبعاد النبوة والإمامة، وهكـذا فـإن السـورة تشـير إلـى الأصول الأساسية للدين.

٢. الهداية قسمان:

أ. تكوينية

ب.تشريعية

فقد يهدي الله تعالى الموجودات وفقاً للقوانين الطبيعية إلى الهدف الأساسـي لتكاملها وهذه هي الهداية التكوينية، وقد يهتدي الإنسـان عن كريق إرسـال النبـي والإمـام وهـذه هي الهداية التشريعية.

٣. نحن في كل ليـل ونهـار نطلـب الهدايـة مـن الله، لأن لهـا مراحـل ودرجـات[١]، وطريـق التكامل مستمر إلى ما لا نهايـة، إذن فـنحن نطلـب مـن الله تعـالى الـدرجات الأكثـر مـن الهداية، ومن هنا كان الأنبياء والأئمة يطلبون من الله اسـتزادة الهداية، ومـن جهـة أخـرى نحن بني البشـر معرضون لخطر التعثر والانحراف، ولأجل هذا الأمر يجب أن نطلـب المـدد والهداية بشكل مستمر، وهذا المعنى أشارة إليه بعض أحاديث أهل البيت(ع)[٢].

٤. الصراط المستقيم في القرآن هو ديـن الله[٣]، وقـد ذكـر لـه المفسـرون معـاني منهـا؛ القـرآن، النبـي(ص)، الأئمـة، والـدين الإلهـي، وجميـع هـذه المعـاني تعـود إلـى الجنبـة الاعتقادية والعملية للدين[٤].

٥. بإمكان كل شخص اختيار طريق الحياة ، فقد يكون طريق الهوس، وربمـا يكـون طريـق الشيطان، وربما طريق الطواغيت، وربما طريق أهل الضـلال، غيـر أن القـرآن الكـريم يريـد الطريق الأفضل والأقصر وهو (الصراط المستقيم) حتى يصل الإنسان بشكل أسـرع إلـى السعادة ويبتعد عن طريق الانحراف.

---

(١) "وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى"، مريم، ٧٦.

(٢) عن أمير المؤمنين علي(عليه السلام)، قال في تفسير (إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ): أي: «أَدِمْ لَنَا تَوْفِيقَكَ الَّذِي أَطَعْنَاكَ بِهِ فِي مَا مَضى مِنْ أَيَّامِنَا، حَتَّى نُطِيعَكَ في مُسْتَقْبَلِ أَعْمَارِنَا».(تفسير الصافي، ج١، ص٨٥).

(٣) أنظر: سورة الأنعام، ١٦١؛ يس، ٢-٦١؛ آل عمران، ١٠١.

(٤) أنظر تفسير الأمثل، ج١، ص٥٤.

٦. فسرت الأحاديث الشريفة الصراط المستقيم بأنه طريق الأنبياء والأئمة(ع) والإمام علي(ع)ومعرفتهم[١]، وهذا اللون من الأحاديث يبين المصاديق الكاملة للصراط المستقيم؛ لأن طريقهم هو طريق الله والدين الحق، ومفهوم الصراط المستقيم بمصاديقه الأخرى لا ينحصر في هذه الموارد.

دروس وعبر

١. أن نطلب الهداية بشكل دائم من الله تعالى[٢].

١. أن نتبع الصراط المستقيم وأن نبتعد عن طريق الانحراف"...الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ".

ثلاثة خطوط أساسية في حياة البشر

قوله تعالى: "صِرَاطَ الَّذِينَ أنعَمتَ عَلَيهِمْ غَير المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ".

القرآن الكريم في الآية السابعة من سورة الحمد يشير إلى ثلاثة خطوط متفاوته في حياة البشر فيقول: "صِرَاطَ الَّذِينَ أنعَمتَ عَلَيهِمْ غَير المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ".

توضيح

هذه الآية تفسير واضح للصراط المستقيم المذكور في الآية السابقة، إنّه صراط المشمولين بأنواع النعم (مثل نعمة الهداية، ونعمة التوفيق، ونعمة القيادة الصالحة، ونعمة العلم والعمل والجهاد والشهادة) لا المشمولين بالغضب الإلهي بسبب سوء فعالهم وزيغ قلوبهم، ولا الضائعين التائهين عن جادة الحق والهدى: **"صِرَاطَ الَّذِينَ أنعَمتَ عَلَيهِمْ غَير المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ".**

---

(١) تفسير الصافي، ج١، ص٨٥.

(٢) وهذا الخطاب يوضح ضرورة تكرار الحمد في الصلوات.

المفردات

١. أنعمت: النعمة هي الحالة الحسنة، وبناء النعمة بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجلسة والركبة[١].

٢. المغضوب: من مادة غضب وهي ثوران دم القلب وإرادة الانتقام، وفيما يتعلق بالله تعالى يكون المعنى المجازي هو المراد[٢].

٣. الضالين: لضلال: العدول عن الطريق المستقيم،.. ويضاده الهداية، ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج، عمدا كان أو سهوا، يسيرا كان أو كثيرا[٣].

ملاحظات

١. يستفاد من الآيات القرآنية أن المنعم عليهم هم أربعة أصناف:

أ. الأنبياء،

ب. الصديقون،

ت. الشهداء،

ث. الصالحون[٤].

٢. فيما يتعلق بالمغضوب عليهم ذكر المفسرون عدة آراء: ذهب البعض إلى أن المراد بالضالين هم التائهون العاديّون، والمغضوب عليهم هم المنحرفون المعاندون، أو المنافقون، ولذلك استحقوا لعن الله وغضبه.

إذن يسلكون ـ إضافة إلى كفرهم ـ طريق اللجاج والعناد ومعاداة الحق، ولا يألون جهداً في توجيه ألوان التنكيل والتعذيب لقادة الدعوة الإلهية. وذهب جمع من المفسرين إلى أن المقصود من (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)المنحرفون من اليهود، وقد أشارت الأحاديث الشريفة إلى هذا المعنى[٥].

---

(١) مفردات الراغب الأصفهاني، مادة نعم.

(٢) مستفاد من مفردات الراغب الأصفهاني، مادة غضب.

(٣) مفردات الراغب الأصفهاني، مادة ضل؛ التحقيق في كلمات القرآن، ج٧، ص٣٧؛ كتاب العين؛ لسان العرب مادة ضل.

(٤) "وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا"

(٥) أنظر: النحل، ١٠٦؛ الفتح، ٦؛ آل عمران، ١١٢.

٣.فيما يتعلق بالضالين ذهب جمع من المفسرين إلى أن المقصود من (الضّالِّينَ) المنحرفون من النصارى، وقد أشارت إلى هذا المعنى بعض الروايات[١]، وفي كل الأحوال فإن اليهود والمسيح هم مصداق لهذه الآية ولا ينحصر مفهوم الآية بهم.

٤. الآية الكريمة تصور ثلاثة خطوط للإنسان حتى يستطيع الإنسان معرفة هذا المسير ويختاره بصورة واعية، فإما طريق الحق والنعمة الإلهية أو طريق الباطل والغضب الإلهي.

٥. علاوة على ما ذكر في تعيين الخطوط الثلاثة، فقد أشارة الآية إلى الأفراد والنماذج حتى يتمكن الإنسان من عيش حياة نموذجية كالأنبياء والشهداء والصالحين وإتباع مسيرتهم.

دروس وعبر

١. اتباع الطريق المستقيم، ومعرفة الطرق المنحرفة[٢].

٢. الاقتداء بالذين أنعم الله عليهم: "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ..".

٣. الابتعاد عن الضالين: "...وَلاَ الضَّالِّينَ".

٤. أن نتجنب الطريق الذي فيه غضب لله: "...غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ".

الخلاصة

١. الصراط المستقيم هو أقصر الطرق إلى الله، ويهدي جميع الموجودات بالهداية التكوينية والتشريعية.

٢. في حياة البشر ثلاثة خطوط رئيسية هي: الصراط المستقيم وهو أسهل الطرق لأهل العاقبة الحسنة، وطريق الضالين، وطريق المغضوب عليهم.

٣. الشهداء والأنبياء والصديقون من مصاديق الصراط المستقيم.

---

(١) نور الثقلين ج١، ص٢٤، ص٢٥.

(٢) وهذا المطلب يفهم من لزوم تكرار الحمد في الصلوات.

بسمه تعالی

التفسیر التمهیدی

(الدرس ٦)

کارشناسی

مقدمة

سنتحدث في هذا الدرس عم الخصائص الكلية لسورة الحجرات، ونزولها، وأسمائها، وأهدافها/ ومضامينها، ونشرع بتفسير الآية الأولى منها، المتعلقة بأدب الحضور عند القائد الإسلامي.

تفسير سورة الحجرات

الأهداف

١.التعرف على تفسير مختصر لسورة الحجرات والدروس والعبر المستفادة منها.

٢. التعرف على طرق صيانة وحفظ شخصية الأفراد، الأخوة والمساواة، آداب المعاشرة الاجتماعية، ومعنى الإسلام والإيمان في سورة الحجرات .

خصائص سورة الحجرات

طرق صيانة وحفظ شخصية الأفراد

(الأخوة والمساواة)

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ"

كليات

نزلت سورة الحجرات على النبي(ص)في المدينة وهي ثمان عشرة آية و٣٤٣ كلمة و١٤٩٦ حرف، وهي السورة السادسة بعد المائة بحسب ترتيب النزول، فقد نزلت قبل سورة المجادلة وبعد سورة التحريم. وأما موضعها في أجزاء القرآن الكريم فهي في الجزء السادس والعشرين، وأما ترتيبها في المصحف فهي السورة التاسعة والأربعين.

أسمائها

سبب تسمية هذه السورة بـ (الحجرات) يعود على ورود مفردة الحجرات في الآية الرابعة منها، وهي تشير هنا إلى البيوت المتعددة لأزواج النّبي(ص) المجاورة للمسجد، ومن هنا فإننا نلحظ صدىً للآداب والأخلاق الإسلامية في آيات هذه السورة.

وأمَّا فضيلة قراءة هذه السورة فقد روي عن الإمام الصادق(ع) انه قال: (من قرأ سورة الحجرات في كلّ ليلة أو في كلّ يوم كان من زوّار محمّد)[١].

ملاحظة

بما أن هذه السورة الشريفة تتحدث عن آداب الحضور عند النبي(ص) والحديث معه وتعليم الأخلاق الإسلامية، فكل شخص يقرأ هذه السورة ويتخلق بأخلاقها فسيكون قريباً من أخلاق النبي(ص) القرآنية، ومثل هذا سيلاقي النبي أو ينال ثواب زيارته[٢].

خصائصها

كثير من السور القرآنية تؤكد على الأخلاق[٣]، إلا أن أبرزها سورة الحجرات.

أهدافها

الأهداف الأساسية لسورة الحجرات هي:

١. تعليم المسلمين آداب المعاشرة الاجتماعية ونبذ عوامل التفرقة.

٢. التأكيد على مراعاة أدب الحضور عند قائد المسلمين(نبي الإسلام(ص)).

٣. التفاوت بين الإيمان والإسلام.

مضامين السورة

أهم مضامين هذه السورة هي:

الف) على مستوى العقائد: ثلاث نقاط أساسية تطرحها هذه السورة:

١. اطلاع الله تعالى على جميع أسرار وأعمال الإنسان (الآيات ١٦و١٨).

٢. التفاوت بين مرتبتي الإسلام والاعتقاد القلبي(الإيمان)ليس بالقول فقط، بل بالجهاد بالنفس والمال (الآيات ١٤و١٥).

٣. بيان أن إيمان الإنسان أمر فطري، وأن الكفر والعصيان أمران قبيحان(الآية٧).

ب) على مستوى الأخلاق: من خلال آيات هذه السورة يمكن أن نستلهم النقاط التالية:

١. آداب مواجهة النبي(ص)وأدب الحضور عنده (الآيات ١-٥).

٢. التوصية بالإصلاح بين المؤمنين وبيان أسلوب حل الاختلافات والمشاكل بين المؤمنين (الآية ٩).

---

(١) مجمع البيان، مطلع تفسير سورة الحجرات.

(٢) جعفر شيخ الإسلام،آشنايي با سورهاي قرآن >التعرف على سور القرآن<، ص٧٩.

(٣) مثل سورة المؤمنون، لقمان، الحجرات.

٣. النهي عن مسببات الاختلاف بين المسلمين مثل سوء الظن، التجسس، السخرية، تتبع العيوب، التنابز بالألقاب (الآيات ١١و١٢).

٤. التقوى هي معيار أفضلية الإنسان (الآية ١٣).

ج) على مستوى الأحكام: ذكر بعض المحرمات كالتجسس والغيبة (الآية ١٢).

د) على مستوى القصة: أشارة هذه السورة إلى قضيتين حدثتا في صدر الإسلام:

الأولى: قصة بني تميم وسوء أدبهم في محضر النبي(ص)في شان نزول الآيات (الآيات ٢-٥).

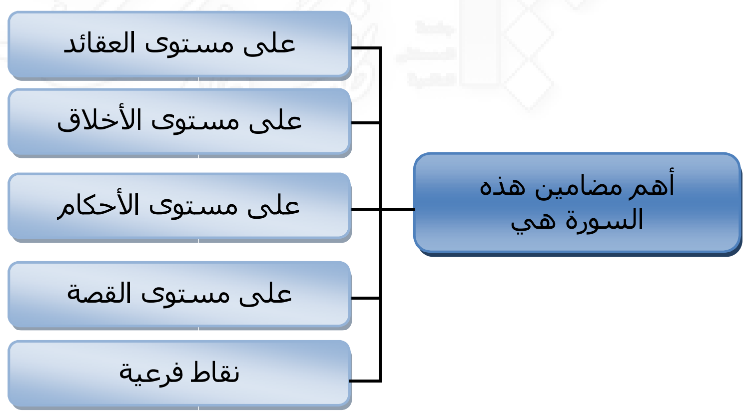
الثانية: بعض خلافات نساء النبي(ص)وأصحابه مع بعضهم البعض، الواردة في شأن نزول الآيات (١١-١٣).

هـ) نقاط فرعية: إضافة إلى ما تقدم يمكننا أن نذكر النقاط التالية:

١. إعلان أخوة المؤمنين (الآية ١٠).

٢. بيان أن الإيمان هدية إلهية (الآية ١٧).

٣. عدم قبول خبر الفاسق قبل التحقق (الآية٦).



٢

أدب الحضور عند القائد الإسلامي

القرآن الكريم في الآية الأولى من سورة الحجرات يشير إلى أدب الحضور عند الله ورسوله(ص)، ويوصي بالتقوى فيقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[1].

([1]) الحجرات، ١.

يعلم القرآن الكريم المؤمنين في الآية الأولى من سورة الحجرات أدب التعامل في محضر الله ورسوله(ص) فتشير إلى عدم التقدّم على الله ورسوله فتقول الآية الأولى في هذا الصدد: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ..."**، وتدعوا الآية في ختامها المسلمين إلى الالتزام بالتقوى وحفظ النفوس من العذاب الإلهي، وأن الله تعالى سميع وعليم بجميع الأعمال فتقول **وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ".**

المفردات

التقوى: الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره[1]، والتقوى جعل النفس في وقاية ممّا يخاف، مادياً ومعنوياً، إذن التقوى بمعنى الحفظ، وهو معنى إيجابي وليس سلبي، وعليه فإن ترجمة التقوى بمعنى (الابتعاد) و (الخوف من الله) ليست صحيحة.

فائدة لغوية

(لا تُقَدِّمُوا) هذه المفردة إما أن تكون فعلاً متعدياً ومفعوله محذوف، أي لا تقدّموا أمراً بين يدي الله ورسوله، وإما أنّ هذا الفعل لازم ومفهومه لا تتقدّموا بين يدي الله، وبالرغم من أنّ الفعلين مختلفان شكلاً إلاّ أنّ المعنى أو النتيجة واحدة[2].

شان النزول

قصة نزول هذه الآية نقلت بعدة صور:

ألف) حين أراد النّبي (ص)أن يتوجّه إلى خيبر رغب في أن يخلّف شخصاً معيّناً مكانه في المدينة وينصّبه خليفةً عنه، فاقترح عمر شخصاً آخر، فنزلت الآية الآنفة وأمرت أن لا تقدموا بين يدي الله ورسوله[3].

ب)إنّ الآية تشير إلى أعمال بعض المسلمين الذين كانوا يؤدّون عباداتهم قبل أوآنها، فنزلت الآية لتنهاهم عن مثل هذه الأعمال[4].

---

(1) مفردات الراغب الأصفهاني، مادة وقى.

(2) أنظر: تفسير الأمثل، ج١٦، ص٥١٢.

(3) أنظر: تفسير القرطبي، ج٩، ص٦١٢١

(4) أنظر:.مجمع البيان، ج٩، ١٩٦.

وذكرت شئون أخرى لنزول الآية[1]، غير أن الموردين المذكورين يتناسبان مع ظاهرها.

ملاحظات

١. المقصود من (لا تُقَدِّمُوا) لا تقدّموا أمراً بين يدي الله ورسوله. وهذا التعبير مفهومه واسع والمراد من عدم التقديم بين يدي الله ورسوله هو أن لا يُقترح عليهما في الأُمور، وترك العجلة والإسراع أمام أمر الله ورسوله.

وبالرغم من أنّ بعض المفسّرين أرادوا أن يحدّدوا مفهوم الآية وجعلوه منحصراً بأداء العبادات قبل وقتها، أو التكلّم قبل كلام رسول الله وأمثال ذلك، إلاّ أنّه من الواضح أنّ للآية مفهوماً واسعاً يشمل أي تقدّم وإسراع في كلّ خطّة ومنهج.

٢. المقصود من قوله تعالى (بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ) أمامه، وهذا التعبير هو كناية عن التعجل في الأمور وليس بمعنى أن الله جسم ويحل في مكان والعياذ بالله، فالآية تنهى عن التقدم على أمر الله ورسوله.

الخلاصة

١. سبب تسمية هذه السورة بـ (الحجرات) يعود إلى ورود مفردة الحجرات في الآية الرابعة منها.

٢. أبرز سورة تتحدث عن الأخلاق هي سورة الحجرات.

٣.مضامين سورة الحجرات يكمن في عدة مجالات هي: العقائد والأخلاق والأحكام والقصة.

٤. الآية الأولى تعلم المسلمين أدب الحضور في محضر النبي (ص)وأدب الحضور عند القائد الإسلامي.

---

(١) أنظر: تفسير الأمثل، ج١٦، ص٥١٢.

بسمه تعالی

التفسير التمهيدی

(الدرس ۷)

کارشناسی

المقدمة

سنكمل في هذا الدرس النقاط المتعلقة بتفسير الآية الأولى من سورة الحجرات، ونبحث في تفسير الآية الثانية من هذه السورة والتي تتحدث عن أدب الحديث مع رسول الله(ص).

تفسير سورة الحجرات

تتمة الملاحظات السابقة

٣. إن النبي الأكرم(ص)هو قائد المجتمع الإسلامي، وقد سنَّ نظاماً إدارياً رفيعاً، وهذا يعني أن جميع المسلمين يجب عليهم أن يراعوا ذلك النظام، وأن لا يقدموا أعمالهم على أعمال القائد الكبير، وإلا فإن أعمالهم لن تنتظم، ويبتلى المجتمع بالهرج والمرج والفوضى.

٤. يحكي لنا التاريخ الإسلامي أن النبي(ص) حينما تحرّك لفتح مكّة في السنة الثامنة للهجرة كان ذلك في شهر رمضان وكان معه جماعة كثيرة، منهم الفرسان ومنهم المشاة، ولمّا بلغ (منزل) (كراع الغميم) أمر بإناء ماء، فتناول منه الرّسول وافطر ثمّ أفطر من كان معه، إلاّ أنّ العجيب أنّ جماعة منهم (تقدّم على النبي) ولم يوافقوا على الإفطار وبقوا صائمين فسمّاهم النّبي(ص) بالعُصاة[1]، وهكذا الحال في الذين تخلفوا عن جيش أسامة في اللحظات الأخيرة من عمر النبي(ص).

٥. إن عدم التقدم على النبي(ص)وقادة المسلمين لا يعني بأنّه لا يجوز لهم أن يتشاوروا معه إذا كان لديهم شيءٌ يجدر بيانه، بل المراد منه إلاّ يعجلوا ويبادروا بالتصميم قبل أن يوافق النّبي على ذلك.

٦. إن الشخص الذي يتقدم على النبي والمعصوم بالقول أو بالفعل فإن نتيجة عمله تكون:

أولاً: يكون عمله مخالفاً للأدب.

ثانياً: الأعمال المتعجلة للإنسان لا تكون لها قيمة.

ثالثاً: من الممكن أن تعتبر مخالفة الله والنبي(ص)من الذنوب الكبيرة.

---

[1] أنظر: وسائل الشيعة ج٧، ص١٢٥؛ تفسير الأمثل، ج١٦، ص٥٢١.

٧. كلمة الرسول تعني المرسل من الله، وهذا التعبير يشير إلى مقام رسالة النبي، ويبين أن ما يقوله هو من الله، والمنع من التقدم عليه(ص)يشمل خلفاء الرسالة، ومن هنا يمكن القول، إن التقدم على الإمام المعصوم ونوابه الخاصين، والعامين يعد وطبقاً لهذه الآية أمراً محضوراً.

٨. ورد في الزيارة الجامعة لأهل البيت(ع)ما يلي:(فالراغب عنكم مارق واللازم لكم لاحق والمقصر في حقكم زاهق)[١].

٩. إن تعبير (يا أيها الذين آمنوا) الواردة في الآية الكريمة يشير إلى أن الإيمان له أثر في أداء الواجبات، فمن لوازم الإيمان أن يراعي المؤمن المتقي أدب الحضور عند الله ورسوله[٢].

١٠. إن ذكر أسماء كـ(السميع) و(العليم) في آخر بعض الآيات له ارتباط بمحتوى تلك الآية، واستعمال هذين الاسمين الشريفين يشير إلى أن الله تعالى يسمع كلامكم المتقدم عليه وعلى رسوله، وهو عليم ومطلع على أعمالكم عند النبي(ص).

دروس وعبر

١. يجب على المؤمنين أن يراعوا أدب الحضور عند الله ورسوله (لا تُقَدِّمُوا).
٢. عدم التقدم على قائد المسلمين (وَرَسُولِهِ).
٣. من لوازم الإيمان مراعاة الأدب مع قائد المجتمع (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا).
٤. أهمية مراعاة الانضباط وسلسلة المراتب في إدارة المجتمع الإسلامي (لا تُقَدِّمُوا).
٥. أن يعلم الإنسان أن الله تعالى مطلع على الأقوال والأفعال (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

أدب التحدث مع رسول الله(ص)

الآية الثانية من سورة الحجرات

القرآن الكريم في الآية الثانية من سورة الحجرات يشير إلى أدب التحدث مع رسول الله(ص) وينبه المسلمين إلى هذه القضية ويقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ"[٣].

توضيح:

---

(١) أنظر: مفاتيح وكتب الأدعية الأخرى.

(٢) سيأتي الحديث عن حقيقة الإيمان ، وفرق المؤمن عن المسلم في ذيل الآية (١٤) من هذه السورة.

(٣) الحجرات، ٢.

الآية السابقة أشارت إلى أدب التعامل في محضر النبي(ص)، وهذه الآية تبين أدب الحديث معه(ص) وأنّه لا ينبغي رفع الصوت على صوت النبي فهو بنفسه نوع من الإساءة الأدبية في محضره المبارك، ومن ثم تؤكد الآية على ترك مخاطبة النّبي(ص)بالنداء «يا محمّد»، ومن ثم تحذر الآية من إحباط الأعمال إذا لم يلتزم المؤمنون بهذه النواهي وهم لا يشعرون.

شأن النزول

في السنة التاسعة للهجرة حين كانت القبائل تَفُد على النّبي للسلام عليه أو للمعاهدة معه وقد عُرف العام ذلك «بعام الوفود» وعند وصول ممثلي قبيلة تميم إلى النّبي(ص) قال أبو بكر: ليكن «القعقاع» (أحد أشراف تلك القبيلة) أميرها، واقترح عمر أن يكون «الحابس بن أقرع» أميرها. فقال أبو بكر لعمر أردت أن تخالفني، فردَّ عليه عمر بأنّه لم يُرد مخالفته أبداً، فتعالى الصياح والضجيج بينهما، فنزلت الآيات الآنفة[1].

وقد ذكرت شؤون نزول أخرى للآية الكريمة،غير أن هذا المورد يتناسب أكثر مع ظاهرها[2].

المفردات

١. **ترفعوا**: الرفع يقال تارة في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها عن مقرها، والمقصود هنا عدم رفع الصوت على صوت النبي(ص)، بل التكلم بهدوء في حضرته[3].

٢. **تجهروا**: يقال لظهور الشيء بإفراط حاسة البصر أو حاسة السمع، وقد يكون في القول وقد يكون بالعمل، فالجهر بالقول الصياح؛ وهذا يعني عدم رفع الصوت أثناء الحديث مع النبي(ص)[4].

---

(١) أنظر: تفسير القرطبي، ج٩، ص٦١٢١؛ في ظلال القرآن، ج٧، ص٥١٢٤، سيرة ابن هشام، ج٤، ص٢٠٦، صحيح البخاري، ج٦، ص١٧٢.

(٢) أنظر: تفسير الأمثل، ج١٦، ص٥٠٥.

(٣) أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة رفع؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٤، ص١٦١.

(٤) أنظر: نفس المصدر، مادة جهر؛ التحقيق، ج٢، ١٢٩.

٣. تحبط: مادة (حبط) وهي بمعنى البطلان وذهاب الأمر، والمقصود هنا هو بطلان الأعمال وذهابها.

٤. تشعرون: وهذه المفردة مشتقة الشَعر، ويقال لكل شيء دقيق يدركه الإنسان بسهولة[١].

٥. النبي: مشتق من النبأ، و خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ومن هنا جاء النبي(ص)بأخبار مهمة عن الله، ويقال له نبي[٢].

أو انه مشتق من مادة (نبو) وهي ارتفاعٍ في الشيء عن غَيره أو تَنحٍّ عنه، ومن هنا فإن مقام النبي(ص) أعلى من سائر الناس[٣].

الخلاصة

١. لا ينبغي للمسلمين أن يقدموا أعمالهم على عمل رسول الله(ص)، وهذا الأمر ينطبق على أوصيائه ونوابهم الخاصين والعامين.

٢. لا ينبغي رفع الصوت على صوت النبي فهو بنفسه نوع من الإساءة الأدبية في محضره المبارك.

---

(١) أنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة شعر.

(٢) أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة نبأ؛ كتاب العين، ج٨، ص٣٨٢؛ لسان العرب، ج١، ص١٦٢.

(٣) أنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٢، ١٥، معجم مقاييس اللغة، مادة نبو.

بسمه تعالی

التفسير التمهيدی

(الدرس ٨)

کارشناسی

المقدمة

سنكمل في هذا الدرس الحديث عن الآية الثانية من سورة الحجرات ونتعرض إلى الدروس والعبر المستخلصة منها، كما سنبحث في تفسير الآية الثالثة والمتعلقة بسمات وخصائص المؤدبين، الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله(ص).

تفسير سورة الحجرات

ملاحظات

١. الآية المباركة تبين آداب الحضور عند النبي(ص)وكذلك أدب التحدث في محضره؛ وذلك لان رفع الصوت عند قائد المسلمين يعتبر نوعاً من إساءة الأدب.

٢. جملة: (لا تجهروا له بالقول) يمكن أن تكون تأكيداً على المعنى المتقدّم في الجملة الأولى، أو أنّها إشارة إلى مطلب آخر، وهو ترك مخاطبة النّبي(ص)بالنداء «يا محمّد» و العدول عنه بالقول: «يا رسول الله»!...غير أنّ جماعة من المفسّرين قالوا في الفرق بين الجملتين آنفتي الذكر ما يلي:ـ إنّ الجملة الأولى ناظرة إلى زمان يتحادث الناس فيه مع النبي، فلا ينبغي لأحد أن يرفع صوته فوق صوت النّبي (ص)أمّا الجملة الثانية فناظرة إلى زمان يكون الرّسول فيه صامتاً وأصحابه يُحدّثونه، ففي هذه الحالة أيضاً لا ينبغي رفع الصوت عنده. والجمع بين هذا المعنى والمعنى السابق أيضاً ـ لا مانع منه كما أنّه ينسجم مع شأن نزول الآية، وعلى كلّ حال فظاهر الآية هو بيان أمرين مختلفين[1].

٣. إن رفع الصوت وعدم احترام النبي(ص)، إذا كان المقصود منه إهانة مقام النبوة فإنه يستلزم الكفر ويحبط العمل ويكون سبباً في زوال ثواب العمل الصالح.

وإذا لم يكن المقصود منه الإهانة فإنه لا يمنع أن يكون مثل هذا العمل السيئ باعثاً على زوال ثواب الكثير من الأعمال.

٤. ورد في هذه الآية الكريمة مفردة (النبي) تعبيراً عن نبي الإسلام(ص) وربما يكون المقصود بهذا التعبير ليس شخص النبي بل المقصود الرسالة الإلهية، وعليه تكون إساءة الأدب في محضره هي إساءة لمقام النبوة.

---

(1) وفي هذه الصورة سوف يتفق معنى هذه الآية مع الآية ٦٣ من سورة النور وهي قوله تعالى: "لا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا".

٥. وقد ورد في رواية أنّه حين نزلت الآية آنفة الذكر قال «ثابت بن قيس» خطيب النّبي الذي كان له صوت جهوري عال: أنا الذي رفعت صوتي فوق صوت النّبي فحبطت أعمالي وأنا من أهل النّار. فبلغ ذلك سمع النّبي (ص)فقال: «هو من أهل الجنّة»[١].

ومن هذه القصة التاريخية نفهم أن مقصود الآية ليس كل صوت عال يرفع أمام النبي(ص) يكون منهياً عنه؛ بل إذا لم يكن الصوت المرفوع أمام النبي يقصد منه الإهانة، وأمَّا إذا كان المقصود منه أداء الوظيفة الشرعية مثل قراءة القرآن أو أذان الصلاة فهذا مما لا إشكال فيه.

اعتبر بعض المفسرين أن الحكم الوارد في الآية الكريمة شامل لحياة النبي وبعد فاته(ص)، بمعنى كما أن رفع الصوت أمام النبي في حياته أمر منهي عنه كذلك الحال بعد وفاته؛ لأنه وفي كلتا الحالتين يعد إساءة للأدب في محضره الشريف[٢].

ومما يؤيد هذا الأمر حديث الإمام الحسين(ع)في أنه استدل بهذه الآية على المنع من الضوضاء ورفع الصوت بجوار قبر النبي(ص)[٣]. وبالتأكيد فإن هذا المنع لا يشمل تلاوة القرآن، أو قراءة الأذان، أو الخطابة.

دروس وعبر

١. مراعاة أدب التحدث في حضور النبي(ص) (لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ).

٢. قائد المسلمين ليس كالأفراد العاديين حتى يجهر أمامه بالقول (لَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ).

٣. إن سوء الأدب في محضر النبي(ص) يكون سبباً في ذهاب الأعمال وإحباطها: (أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ).

الآية الثالثة من سورة الحجرات

القرآن الكريم في الآية الثالثة من سورة الحجرات يشير إلى غض الأصوات عند النبي(ص) فيقول: "إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ"[٤].

---

(١) مجمع البيان، ج٩، @ص١٩٦؛ نور الثقلين؛ في ظلال القرآن؛ المراغي، ذيل الآية.

(٢) وذلك بالالتفات إلى فلسفة الحكم، فبإلغاء الخصوصية فإن الآية تشمل الموارد الأخرى. (أنظر: تفسير الأمثل، ج١٦، ص٥٠٣.

(٣) أنظر: نور الثقلين، ج٥، ص٨٠.

(٤) الحجرات، ٣.

توضيح

تحدث الآية السابقة عن أدب الحديث عند النبي(ص)، وهذه الآية تشير إلى سمات وخصائص المؤدبين، الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله، وفي نهايتها تشير إلى المغفرة والأجر العظيم الذي أعده الله لهم.

المفردات

١.يغضون: الغض، النقصان من الطرف، والصوت[١]. وهي مشتقة من غضّ ـ على وزن حظّ ـ ومعناها تقليل النظر أو خفات الصوت ويقابل هذه الكلمة الإمعان بالنظر والجهر بالصوت.

٢. امتحن: مشتقة من الامتحان، والأصل في استعمالها إذابة الذهب وتطهيره من غير الخالص، كما أنّها تستعمل في بسط الجلد المعدّ للدّبغ، ثمّ استعملت بعدئذ في مطلق الإختبار كما هي الحال بالنسبة للآية محل البحث، و نتيجة ذلك خلوص القلب وبسطه لقبول التقوى[٢].

٢. القلب: ليس المقصود بمفردة القلب هذا القلب الصنوبري الواقع في الجانب الأيسر من الصدر، بل هو إشارة إلى البعد الثاني من شخصية الإنسان، ومن هنا فهو مركز الإحساسات والعواطف، وقد يأتي القلب بمعنى الروح والعقل والإدراك[٣].

٣. مغفرة: الغفر: إلباس ما يصونه عن الدنس، والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب[٤].

فائدة لغوية

«اللام» في كلمة «التقوى» في الحقيقة هي لام الغاية وليست (لام العلّة) أي أنّ الله يجعل قلوب أولئك مهيّأة للقبول والتقوى، لأنّ القلب إذا لم يَخلُص ولم يصف فلا يكون محلاً للتقوى حقيقةً[٥].

ملاحظات

١. نكّرت كلمة «مغفرة» للتعظيم والأهمية... أي أنّ الله يجعل نصيبهم المغفرة الكبرى والتامة.

---

(١) مفردات الراغب الأصفهاني، مادة غض.

(٢) تفسير الأمثل، ج١٦، ص٥١٤.

(٣) تفسير الأمثل، ج١، ص٩٠.

(٤) مفرجات الراغب الأصفهاني، مادة غفر.

(٥) أنظر: تفسير الأمثل، ج١٦، ص٥٠٥.

٢. تقدمت مفردة مغفرة على مفردة اجر؛ لان الإنسان يجب أن يكون طاهراً أولاً، حتى يكون مهيئاً للاستفادة من الأجر الإلهي العظيم.

٣. الآية الكريمة تشير إلى أدب الحضور عند النبي(ص) والأجر المترتب عليه، وقد وسع بعض المفسرين مفهوم الآية وذهب إلى أنها تشمل المراحل الأقل كقادة الفكر وأهل الأخلاق والعلماء.

دروس وعبر

١. إن رعاية الأدب عند النبي(ص)علامة خلوص القلب وقبول التقوى:"...أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى...".

٢. إذا أراد الإنسان المغفرة والأجر العظيم، ينبغي عليه أن يتحلى بالأدب أمام قائد المسلمين: "...لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ".

الخلاصة

١.إن رفع الصوت وعدم احترام النبي(ص)، إذا كان المقصود منه إهانة مقام النبوة فإنه يستلزم الكفر ويحبط العمل ويكون سبباً في زوال ثواب العمل الصالح.

٢. كما أن رفع الصوت أمام النبي في حياته أمر منهي عنه كذلك الحال بعد وفاته؛ لأنه وفي كلتا الحالتين يعد إساءة للأدب في محضره الشريف.

٣. إن سوء الأدب في محضر النبي(ص) يكون سبباً في ذهاب الأعمال وإحباطها: (أن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ).

٤. «اللام» في كلمة «التقوى» في الحقيقة هي لام الغاية وليست (لام العلّة) أي أنّ الله يجعل قلوب أولئك مهيّأة للقبول والتقوى، لأنّ القلب إذا لم يَخلُص ولم يصف فلا يكون محلاً للتقوى حقيقةً.

٥. وسع بعض المفسرين مفهوم الآية"إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ" وذهب إلى أنها تشمل المراحل الأقل كقادة الفكر وأهل الأخلاق والعلماء.

بسمه تعالی

التفسیر التمهیدی

(الدرس ۹)

کارشناسی

مقدمة

سنتناول في هذا الدرس بالتفسير والتوضيح المختصر للآيات الرابعة والخامسة والسادسة والمتعلقة بسوء أدب البعض في مناداة النبي(ص)وكيفية التعامل مع أخبار الأشخاص الفاسقين.

تفسير سورة الحجرات

الآيتين الرابعة والخامسة

القرآن الكريم في الآيتين الرابعة والخامسة من سورة الحجرات يشير إلى سوء أدب البعض في مناداة النبي(ص) فيقول: "إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "[1].

تحدثت الآيات السابقة عن الأدب في محضر النبي(ص)، وهذه الآية تشير إلى غير المؤدبين الذين لا يعقلون أمثال طائفة من بني تميم حيث نادوا بأعلى صوتهم من وراء الحجرات، وهؤلاء أكثرهم لا يعقلون ثم تشير الآية إلى أن هؤلاء لو صبروا حتى يخرج رسول الله إليهم لكان خيراً لهم، وفي الختام تؤكد الآية على أن الله غفور رحيم.

شأن النزول

وأمّا في شأن الآية فقد قال المفسّرون إنّ طائفةً من «بني تميم» وأشرافهم وردوا المدينة، فلمّا دخلوا مسجد النّبي نادوا بأعلى صوتهم من وراء الحجرات التي كانت للنبي: يا محمّد أخرج إلينا. فأزعجت هذه الصرخات غير المؤدّبة النبي، فخرج إليهم فقالوا له: جئناك لنفاخرك فأجز شاعرنا وخطيبنا ليتحدّث عن مفاخر قبيلتنا، فأجازهم النّبي(ص)فنهض خطيبهم وتحدّث عن فضائلهم الخيالية الوهميّة كثيراً...

([1]) الحجرات، ٤، ٥.

فأمر النّبي (ثابت بن قيس) أن يردّ عليهم فنهض وخطب خُطبةً بليغة فلم يُبق لخُطبة أولئك من أثرا!...

ثمّ نهض شاعرهم وألقى قصيدة في مدحهم فنهض «حسان بن ثابت» فردَّ عليه بقصيدة شافية كافية!

فقام رجلٌ من أشراف تلك القبيلة واسمه «الأقرع» فقال: إنّ هذا الرجل يعني محمّداً خطيبه أبلغ من خطيبنا وشاعره أجدر من شاعرنا وصدى صوته أبعد مدىً من صوتنا.

فأمر النّبي (ص)أن تُهدى لهم هدايا ليكتسب قلوبهم إليه فكان أن تأثّروا بمثل هذه المسائل فاعترفوا بنبوّته! [١].

المفردات

١. **الحجرات:** هذه المفردة مشتقة من مادة (حجر) أي المنع وهي تطلق على الغرف؛ لأنه يمنع من دخول الآخرين، والمراد هنا غرف النبي(ص)التي كانت مجاورة للمسجد ومحل سكناه.

٢. **العقل:** وأصل العقل: الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعقال، وعقل الدواء البطن، وعقلت المرأة شعرها، وعقل لسانه: كفه العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل[٢].

٣. **الصبر:** الصبر: الإمساك في ضيق، والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه[٣].

ملاحظات

١.تطلق هذه الآية على غير المؤدبين بأنهم لا يعقلون؛ لان عقل الإنسان كلما نضج ، فإنه يدرك القيم السليمة والسقيمة بشكل أفضل وهو مما يقوي أدبه، وكلما كان عقله صغيراً فإن أدبه يكون قليل، وعدم الأدب هو من صفات الحيوانات التي لا تتفكر، فالأدب هو علامة الإنسان المفكر.

٢. الدين هو مجموعة من الآداب والسنن، الأدب مع الله، الأدب مع رسول الله(ص)، الأدب مع أهل البيت(ع)، الأدب مع الوالدين، المعلم، العلماء، والناس، ومن هنا فإن قسماً مهماً من الآيات القرآنية والأحاديث يعلم الآداب والإرشادات الدينية.

---

(١) تفسير الأمثل، ج١٦، ص ٥١٢، وقد ذكر الشيخ مكارم الشيرازي أن شأن النزول هذا متعلق بالآية الثانية من سورة الحجرات، غير أن شأن النزول هذا يتناسب أكثر مع الآية أعلاه.

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني، مادة عقل.

(٣) مفردات الراغب الأصفهاني، مادة صبر.

٣. عن الإمام الصادق(ع) قال: خمس من لم تكن فيه لم يكن فيه كثير مستمتع، قيل: وما هن يا ابن رسول الله ؟ قال: الدين، والعقل،والحياء، وحسن الخلق، وحسن الأدب[١].

٤. تعبير «الأكثر» في لغة العرب يطلق أحياناً بمعنى الجميع، وإنّما استعمل هذا اللفظ رعايةً للإحتياط في الأدب حتى لو أنّ واحداً أُستثني من الشمول لا يضيع حقّه عند التعبير بالأكثر، فكأنّ الله يريد أن يقول: إنّي أنا الله الذي أحطت بكلّ شيء علماً، عند الكلام على مثل هذه الأُمور أراعي الأدب في ذلك فعلامَ لا تراعون في كلامكم هذه الناحية؟![٢].

٥. ورد في الآية الثاني أن طائفة من بني لو تميم صبر حتى يخرج إليهم رسول الله(ص)لكن خيراً لهم؛ لأن عمل أولئك علامة على أدبهم، ويكون مصدراً للرحمة والأجر الإلهي.

٦. في نهاية الآية الثانية إشارة إلى تلك المجموعة غير المؤدبة من بني تميم بأن يستفيدوا من الرحمة الإلهية ويختاروا طريق التوبة.

٧. يلزم التأكيد على أن شأن النزول لا يوجب حصر المعنى بمورد واحد، ففي هذه الآية كان بنو تميم مصداق لها، غير أن مفهوم الآية لكل شخص لا يحسن الأدب مع رسول الله(ص).

٨. وكما مرَّ سابقاً أن بعض المفسرين وسعوا مفهوم الآية فهي تشمل النبي(ص)والقادة الدينيين، وحتى العلماء والمعلمين.

دروس وعبر

١. أكثر غير المؤدبين لا يعقلون "...أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ".

٢. رفع الصوت في غير موضعه دليل على سوء الأدب وعدم العقل "إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ"

٣. التعقل وعدم رفع الصوت في غير موضعه.

٤. إذا كان الإنسان يطلب الأفضل فعليه أن يصبر أمام بيت النبي(ص).

٥. من لوازم العقل الصبر "...وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا".

٦. مراعاة حرمة البيوت.

٧. الجزع يوجب ذهاب الخير "...لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ".

٨. باب الرحمة الإلهية مفتوح حتى لغير المؤدبين"... َاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ".

---

(١) أنظر: بحار الأنوار، ج٧٥، ص٦٧.

(٢) أنظر: الأمثل، ج١٦، ص٥١٥.

٩. أن نكون رحماء ومؤدبين في قبال غير المؤدبين.

طرق التعامل مع أخبار المشكوك بإيمانهم

القرآن الكريم في الآية السادسة من سورة الحجرات يأمر بالتحقق من أخبار الفساق قبل التبين ويحذر المؤمنين فيقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ"[١].

بينت الآيات السابقة آداب التعامل مع النبي(ص)، وهذه الآية تتحدث عن آداب قبول الخبر، كما أنها تأمر بالتحقق من الخبر، ومن ثم تشير إلى علة التحقق من خبر الفاسق، وتحذر من الوقوع في الجهالة.

شأن النزول

القول الأوّل في شأن نزول الآية محل البحث الذي ذكره أغلب المفسّرين أنّ الآية الكريمة: (يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ) نزلت في «الوليد بن عقبة» وذلك أنّ النّبي (ص)أرسله لجمع الزكاة من قبيلة «بني المصطلق» فلمّا علم بنو المصطلق أنّ مبعوث الرّسول قادم إليهم سرّوا كثيراً وهُرعوا لاستقباله، إلاّ أنّ الوليد حيث كانت له خصومة معهم في زمان الجاهلية، شديدة، تصوّر أنّهم يريدون قتله.

فرجع إلى النّبي «ومن دون أن يتحقّق في الأمر» وقال: يا رسول الله إنّهم امتنعوا عن دفع الزكاة.

وأضاف بعضهم أنّ النّبي (ص)حين أخبره الوليد بن عقبة بارتداد قبيلة (بني المصطلق) أمر خالد بن الوليد بن المغيرة أن يمضي نحوها وأن لا يقوم بعمل حتى يتريث ويعرف الحقّ...

---

(١) الحجرات، ٦.

فمضى خالد ليلاً وصار قريباً من قبيلة بني المصطلق وبعث عيونه ليستقصوا الخبر فعادوا إليه وأخبروا بأنّهم مسلمون «أوفياء لدينهم» وسمعوا منهم صوت الآذان والصلاة، فغدا خالد عليهم في الصباح بنفسه فوجد ما قاله أصحابه صدقاً فعاد إلى النّبي وأخبره بما رأى فنزلت الآية آنفة الذكر، وعقّب النّبي عليها... «التأنّي من الله والعجلة من الشيطان»[1].

المفردات

١. النبأ: هذه الكلمة تعني الخبر الكبير[2]، ومن هنا فإنها تشمل الأخبار الاجتماعية والسياسية والدينية المهمة.

٢. الجهالة: قد تستعمل مفردة الجهالة في قبال العلم، فتكون بمعنى عدم العلم، وقد تستعمل في قبال العقل فتكون بمعنى عمل السفهاء، والمراد في الآية هو المعنى الأول.

٣. الفاسق: فسق فلان، خرج عن حد الشرع، وذلك من قوله: فسق الرطب، إذا خرج عن قشره[3].

ملاحظات

١.يستفاد من هذه الآية والآية التي بعدها أن مجموعة من المسلمين كانوا يصرون على أن يعمل النبي(ص)بخبر الوليد الفاسق وعلى قتال قبيلة بني المصطلق، فلو أنّ النّبي قد أخذ بقول «الوليد بن عقبة» وعدّ قبيلة بني المصطلق مرتدّين وقاتلهم لكانت فاجعة ومصيبة عظمى.

٢.اعتبر عدد من علماء المسلمين أن هذه الآية دليل على حجية خبر الواحد، يعني بمعنى عدم قبول خبر الفاسق إلا بعد التبين ومفهومها أن الشخص العادل لا يجب

---

(١) أنظر: مجمع البيان ، ج٩، ١٩٨؛ تفسير ، ج٩، ص٦١٣١، وروى البعض أن النّبي(ص) غضب لذلك وصمّم على أن يقاتلهم فنزلت الآية آنفة الذكر غي أن هذا بعيد جداً عن شأن النبي، ولا يناسب خطاب الآية للمؤمنين وذكر بعض المفسّرين قولاً آخر في شأن نزول الآية وعوّلوا عليه فحسب، وهو أنّ الآية نزلت في «مارية القبطية» زوج النّبي وأم إبراهيم (أنظر: تفسير الأمثل، ج١٦، ص٥٢٢).

(٢) أنظر: الميزان، ذيل الآية.

(٣) مفردات الراغب الأصفهاني، مادة فسق.

التبين فيه والتحقق منه[١]، وهذا أمر عقلائي؛ لأن كثيراً من مسائل الحياة مبتنية على العمل بخبر الواحد للأشخاص اللذين يطمئن إليهم، وهذا لا يعد من عمل السفهاء.

٣.معيار قبول خبر الواحد، الاعتماد والاطمئنان، وقد يحصل هذا الاطمئنان من كلام العادل أو مورد الوثوق، وقد يحصل عليه من القرائن الأخرى.

٤.الآية تحذر المسلمين من قبول الأخبار الغير موثوقة، و إذا جيء بالخبر الذي لا يفيد الاطمئنان فيجب التحقق والبحث في صحته. ومما يجدر ذكره أن الأخبار الكاذبة والمدسوسة هي من الحراب القديمة التي استملها المستعمرون اليوم في الحرب الإعلامية الكاذبة لكي يؤثروا فيها على الناس البسطاء والجهلة، ويحركوهم كيفما شاءوا.

٥.وفقاً لشأن نزول الآية يثبت فسق الوليد، غير أن هذا لا يعني حصر مفهوم الآية به، بل يشمل خبر كل إنسان فاسق.

٦.كلمة (تبين) بمعنى الوضوح والتحقيق في مورد الخبر، وهذا المطلب يمكن أن يكون بعدة صور:

أ. عدم التسليم للشائعات والتحقق من مصدرها.

ب.اخذ الأخبار من المصادر الموثوقة والمعتبرة. وهذا الموضوع تتأكد أهميته في الأخبار السياسية والأمنية.

ت.يستفاد من الآية الكريمة أن نتيجة التعجل في قبول خبر الفاسق بدون التحقق من صحته أنه يعد من عمل الجهلة ويؤدي إلى الندم.

٧. روي أن النبي(ص) قال ـ بعد أن تبين أن بني المصطلق لم يخطئوا، واتضحت نتيجة تحقيق والصبرـ (التأني من الله والعجلة من الشيطان)[٢].

دروس وعبر

١. عدم قبول خبر الفاسق قبل التحقق منه: "..فَتَبَيَّنُوا...".

٢. إن قبول الأخبار غير المعتبرة يوجب الجهالة والندم: "أن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ".

٣. الاحتياط في التعامل مع خبر الفاسق.

٤. من لوازم الإيمان عدم التعجل في قبول الشائعات قبل التحق من صحتها: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...".

---

(١) مفردات الراغب الأصفهاني، مادة فسق.

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني، مادة فسق.

الخلاصة

١.الدين هو مجموعة من الآداب والسنن، الأدب مع الله، الأدب مع رسول الله(ص)، الأدب مع أهل البيت(ع)، الأدب مع الوالدين، المعلم، العلماء، والناس، ومن هنا فإن قسماً مهماً من الآيات القرآنية والأحاديث يعلم الآداب والإرشادات الدينية.

٢. رفع الصوت في غير موضعه دليل على سوء الأدب وعدم العقل.

٣. باب الرحمة الإلهية مفتوح حتى لغير المؤدبين.

٤. وفقاً لشأن نزول الآية السادسة يثبت فسق الوليد، غير أن هذا لا يعني حصر مفهوم الآية به، بل يشمل خبر كل إنسان فاسق.

٥. إن قبول الأخبار غير الموثوق بها يوجب الجهالة والندم.

٦. اخذ الأخبار من المصادر الموثوقة والمعتبرة. وهذا الموضوع تتأكد أهميته في الأخبار السياسية والأمنية.

بسمه تعالی

التفسير التمهيدى

(الدرس ١٠)

كارشناسى

المقدمة

القرآن الكريم في الآيتين السابعة والثامنة من سورة الحجرات يشير إلى إلحّاح جماعة من المسلمين البسطاء السذّج ذوي النظرة السطحية على النبي، وكذلك يشير إلى أن تحبيب الإيمان وبغض الكفر نعمة إلهية فقال: "وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ () فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"[١].

تفسير سورة الحجرات

توضيح

الآية السابقة أوصت بعدم قبول خبر الفاسق قبل التحقق من صحته، وهذه الآية تبين أن من حسن حظّكم أيها المسلمون أنّ فيكم رسول الله وهو مرتبط بعالم الوحي فمتى ما بدت فيكم بوادر الانحراف فسيقوم بإرشادكم عن هذا الطريق، فلا تتوقّعوا أن يطيعكم ويتعلّم منكم ولا تصرّوا وتلحّوا عليه، فإنّ ذلك فيه عنت لكم وليس من مصلحتكم...

ويشير القرآن معقّباً في الآية إلى موهبة عظيمة أُخرى من مواهب الله سبحانه فيقول: (ولكنّ الله حبَّب إليكم الإيمان وزيَّنه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان).

وفي الحقيقة أنّ هذه التعابير إشارة لطيفة إلى قانون اللطف أي «اللطف التكويني».

وتوضيح ذلك أنّه حين يريد الشخص الحكيم أن يحقّق أمراً فإنّه يوفّر له جميع ما يلائمه من كلّ جهة ويصدق هذا الأصل في شأن الناس تماماً.

والآية الثانية تشير إلى تحبيب الإيمان وكره الكفر وهو فضل من الله تعالى ونعمة منه، وقد أعطى هذه الألطاف على أساس علمه وحكمته.

---

(١) الحجرات، ٧،٨.

المفردات

١. الأمر: الأمر: الشأن، وجمعه أمور، ومصدر أمرته: إذا كلفته أن يفعل شيئا، وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها[١].

٢. الكفر: الكفر في اللغة: ستر الشيء، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزارع لستره البذر في الأرض، وفي الاصطلاح بمعنى إنكار الحق (الإسلام) وعدم قبوله، ومن هذه الجهة فإن الكافر يستر الحق، فيقال له كافر[٢].

٣. العنت: كلمة «لعنتّم»: مشتقّة من مادة العنت ومعناه الوقوع في عمل يخاف الإنسان عاقبته أو الأمر الذي يشقّ على الإنسان، ومن هنا قيل للألم الحاصل من العظم المكسور عند تعرّضه للضربة بأنّه عنت[٣]. والمقصود هنا إذا لم تتبعوا قائدكم وكل يوم تتبعون رأي شخص أو جماعة فإنكم تصابون بالمشقة والعنت.

ملاحظات

١. وكما مر في الآية السابقة فإن خبر الوليد الفاسق المتعلق بقبيلة بني المصطلق انتشر في المدينة، وقد ضغط بعض الناس على النبي(ص)ليقاتل هذه القبيلة. الآية تشير إلى هذا الموضوع وتذكرهم بنعمة حضور الرسول وارتباطه بالوحي، فهو يمنع الكثير من المشاكل، وفي الضمن إشارة إلى أن القائد إذا استسلم لضغوطات الناس وأطاعهم، فإنهم سوف يتعرضون للمشقة والمواجهات والمشاكل.

٢. أكدت الآية على إتباع النبي(ص)، بمعنى أن الناس يجب أن يتبعوا القائد، وليس أن يتبع القائد الناس[٤].

٣. وفي الحقيقة أنّ هذه التعابير إشارة لطيفة إلى قانون اللطف أي «اللطف التكويني». وتوضيح ذلك أنّه حين يريد الشخص الحكيم أن يحقّق أمراً فإنّه يوفّر له جميع ما يلائمه من كلّ جهة ويصدق هذا الأصل في شأن الناس تماماً...فالله يريد أن يطويَ الناس جميعاً طريق الحق دون أن يقعوا تحت تأثير الإجبار بل برغبتهم وإرادتهم، ولذا يرسل إليهم الرسل والكتب السماوية من جهة، ويحبّب إليهم الإيمان من جهة أخرى، ويُضري شعلة العشق نحو طلب الحق والبحث عنه في داخل النفوس ويكرّه إليها الكفر

---

(١) مفردات الراغب الأصفهاني، مادة أمر.

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني، مادة كفر.

(٣) تفسير الأمثل، ج١٦، ص٥٢٩.

(٤) ينبغي الالتفات إلى أن هذا لا يعني الاستبداد ولا ينافي أصل مشورة القائد مع الناس؛ لان في المشورة كل شخص يدلي برأيه؛ غير أن الرأي النهائي للقائد.

والفسوق والعصيان...وهكذا فإنّ كلّ إنسان مفطور على حبِّ الإيمان والطهّارة والتقوى، والبراءة من الكفر والذنب[١].

٤. سئل الإمام الصادق (ع): هل الحب والبغض من الإيمان؟ فأجاب (ع)«وهل الإيمان إلاّ الحبّ والبغض»؟! ثمّ تلا هذه الآية: "...وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ".

وورد في حديث آخر عن الإمام الباقر (ع)قوله في هذا المجال «وهل الدين إلاّ الحبّ»؟! ثمّ استدلّ (ع)ببعض الآيات منها هذه الآية محل البحث وقال بعدئذ: «الدين هو الحبّ والحبّ هو الدين»[٢].

٥. المحبة هي الانجذاب بين موجودين، وفي القرآن والأحاديث جاء التأكيد على محبة الله، والإيمان، والنبي، وأهل البيت والعباد الخاصين[٣].

٦. نقل عن الإمام الصادق(ع)أنه قال:(حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم يعني أمير المؤمنين(ع))[٤]، ومن هنا يتضح أن هذه الأحاديث تحدد مصداق الحب والإيمان؛ غير أن مفهوم الآية لا ينحصر في هذا المورد.

٧. المقصود من الفسوق هو الخروج عن الطاعة إلى المعصية، و العصيان نفس المعصية و إن شئت فقل: جميع المعاصي، و قيل: المراد بالفسوق الكذب بقرينة الآية السابقة و العصيان سائر المعاصي[٥].

٨. يستعمل الفسوق في قبال الضلال[٦]، وهذا يعني أن الناس في نظرهم محبوب، والكفر مبغوض، وهذه هي الهداية الحقيقية.

٩. ممّا يستجلب النظر أنّ الجمل السابقة في الآية كانت بصيغة الخطاب للمؤمنين لكنّ هذه الجملة: (أولئك هم الراشدون) تتحدّث عنهم بصيغة «الغائب» ويبدو أنّ هذا التفاوت في التعبير جاء ليدلّ على أنّ هذا الحكم غير مختصّ بأصحاب النبي، بل هو قانون عام،

---

(١) تفسير الأمثل، ج١٦، ص ٥٣٠.

(٢) أصول الكافي، ج٢، باب الحب في الله، حديث ٥.

(٣) أنظر: ميزان الحكمة، مادة حب.

(٤) تفسير الصافي، ج٥، ص٥٠.

(٥) الميزان، ج١٨، ص٣١٣.

(٦) أنظر: ميزان الحكمة، مادة حب.

فكلّ من حفظ صفاءه الفطري في أي عصر وزمان هو من أهل الرشد والهداية والنجاة[١].

١٠. أمّا آخر الآيات محل البحث فتوضّح هذه الحقيقة وهي أن محبوبية الإيمان والتنفّر من الكفر والعصيان من المواهب الإلهية العظمى على البشر إذ تقول: (فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم) فعلمه وحكمته يوجبان أن يخلق فيكم عوامل الرشد والسعادة ويكملها بدعوة الأنبياء إيّاكم ويجعل عاقبتكم الوصول إلى الهدف المنشود... «وهو الجنّة»[٢].

١١. أنّ «الفضل» إنّما سُمّي فضلاً لأنّ الله غير محتاج إليه و«النعمة» إنّما سمّيت نعمة لأنّ العباد محتاجون إليها، فهما بمثابة الوجهين لعملة واحدة!

دروس وعبر

١. الناس هم تابعون للقائد وليس العكس "...لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ ...".

٢. إذا حمل الأشخاص آرائهم على القائد، وتبعهم القائد في ذلك، فإن الناس يشقون ويعنتون: "...لَعَنِتُّمْ...".

٣. الإيمان هو نوع من العشق والتعلق القلبي: "...حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ...".

٤. الإنسان بفطرته يميل إلى الإيمان وينفر من الكفر: "...وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ...".

٥. إن طاعة الناس للقائد تعود بالفائدة عليهم؛ ما لم يعملوا بآرائهم الشخصية: "...لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ...".

٦. القائد هو محور القرارات الاجتماعية.

٧. الإيمان هدية ونعمة إلهية بحاجة إلى الشكر: "فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً...".

الخلاصة

١. من حسن حظ المسلمين أن فيهم رسول الله(ص) وهو مرتبط بعالم الوحي فمتى ما بدت فيهم بوادر الانحراف فسيقوم بإرشادهم.

---

(١) تفسير الأمثل، ج١٦، ص٥٣١.

(٢) > فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً..< مفعول لأجله لـ>... حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ...َ<، أو مفعول مطلق بمعنى > أفضل فضلاً وأنعم نعمة<.

٢. في الآية إشارة ضمنية إلى أن القائد إذا استسلم لضغوطات الناس وأطاعهم، فإنهم سوف يتعرضون للمشقة والمواجهات والمشاكل.

٣. وردة في الآية تعابير لطيفة فيها إشارة إلى قانون اللطف أي «اللطف التكويني».

٤. المحبة هي الانجذاب بين موجودين، وفي القرآن والأحاديث جاء التأكيد على محبة الله، والإيمان، والنبي، وأهل البيت والعباد الخاصين.

٥. وهي أن محبوبية الإيمان والتنفّر من الكفر والعصيان من المواهب الإلهية العظمى على البشر.

٦. إذا حمل الأشخاص آرائهم على القائد، وتبعهم القائد في ذلك، فإن الناس يشقون ويعنتون.

بسمه تعالی

التفسیر التمهیدی

(الدرس ۱۱)

کارشناسی

المقدمة

سنتناول في هذا الدرس تفسير الآيتين التاسعة والعاشرة من سورة الحجرات حيث تبين الآية التاسعة طريق الإصلاح بين المؤمنين والآية العاشرة تعلم الإخوة بين المؤمنين.

طريق إصلاح الخلافات الاجتماعية

إعلان الإخوة بين المؤمنين

الآية التاسعة من سورة الحجرات

القرآن الكريم في الآية التاسعة من سورة الحجرات يصدر قانون الإصلاح الاجتماعي، ويشير إلى قانون الصلح ولزوم مراعاة العدل والقسط، فيقول: "وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"[١].

توضيح

بينت الآيات السابقة بعض آداب المعاشرة مع قائد المجتمع، وهذه الآية الكريمة تبين الوظائف الاجتماعية للمؤمنين بعضهم مع البعض الآخر، ومنها فيما يتعلق بحدوث النزاعات بين المؤمنين في حالة وجود الخلافات فإنها تأمر بالإصلاح فتقول « وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...» ومن ثمَّ تطرح قانوناً كلياً للإصلاح، فتقول «... فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ...» والقسم الآخر من الآية الكريمة يشير إلى طريقة الحكم بين الطائفتين المتخاصمتين وهو قوله تعالى« فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ »، وفي نهاية الآية نلاحظ التأكيد على القسط ومراعاة العدل، لأن الله يحب المقسطين« وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ».

---

١. الحجرات، ٩.

شأن النزول

ورد في شأن نزول الآيتين ـ هاتين ـ أنّ خلافاً وقع بين قبيلتي «الأوس» و«الخزرج» «وهما قبيلتان معروفتان في المدينة» أدّى هذا الخلاف إلى الاقتتال بينهما وأن يتنازعا بالعصي والهراوات والأحذية فنزلت الآيتان آنفتا الذكر وعلّمت المسلمين سبيل المواجهة مع أمثال هذه الحوادث[١].

المفردات

١. **الطائفة**: الطوف: المشي حول الشيء،ومنه: الطائف لمن يدور حول البيوت حافظا. يقال: طاف به يطوف والطائفة من الناس: جماعة منهم[٢]

٢. **بغت:** البغي، طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى، تجاوزه أم لم يتجاوزه، فتارة يعتبر في القدر الذي هو الكمية، وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفية، يقال: بغيت الشيء: إذا طلبت أكثر ما يجب[٣].

٣. **المقسطين والعدل:** كلمة «المقسطين» مشتقة من مادة «القسط»، وهي تأتي بمعنى الظلم وعدم الظلم، والمراد بها هنا المعنى الثاني[٤].ثمّ إنّه وإن كان بين «العدالة» و «القسط» تفاوتاً، إذ تطلق «العدالة» ويراد منها عطاء كل ذي حق حقه، ويقابلها «الظلم» وهو منع ذوي الحقوق من حقوقهم، بينما يعني «القسط» أن لا تعطي حق أحد لغيره.

ولكن المفهوم الواسع لهاتين الكلمتين اللتين قد تستعملان منفصلتين، متساو تقريباً، وهما يعنيان رعاية الاعتدال والتوازن في كل شيء وفي كل عمل، وبالتالي وضع كل شيء في مكانه[٥].

---

٢. أنظر: مجمع البيان، ج٩، ذيل الآية؛ تفسير القرطبي، ج٩، ٦١٣٦، يعتقد صاحب تفسير القرطبي أن النزاع حدث بين رجلين من المسلمين بالسيف، غير أن الصحيح أن هذه الواقعة بينت بصورتين.

٣. أنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٧، ١٤٣؛ مفردات الراغب الأصفهاني، مادة طوف، مجمع البيان، ج٢، ص.٧٧٣

٤. أنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١، ٣٠٨؛ مفردات الراغب الأصفهاني، مادة بغى.

٥. كلمة «المقسطين» مأخوذة من القسط ومعناها في الأصل التقسيم بالعدل، وحين ترد على صيغة الفعل الثلاثي قسط على زنة ضرب تعني الظلم والتجاوز على حصّة الآخرين ظلماً، إلاّ أنّه حين تأتي ثلاثي مزيد فيقال «أقسط» فإنّها تعني إعطاء الحصة عدلاً

٦. أنظر: تفسير الأمثل، ج٥، ص.٥٥

ملاحظات

١. صحيح أنّ كلمة «اقتتلوا» مشتقّة من مادة القتال ومعناها الحرب، إلاّ أنّها كما تشهد بذلك القرائن تشمل كلّ أنواع النزاع وإن لم يصل إلى مرحلة القتال والمواجهة «العسكرية» [١]، إذن فوظيفة المسلمين إن يقدموا على الصلح في جميع أنواع المشاجرات اللفظية والنزاعات والحروب.

٢. وطبقاً لمنطوق الآية فإنّه لو توفّرت مقدّمات النزاع كالمشاجرات اللفظية مثلاً التي تجرّ إلى المنازعات الدامية فإنّه ينبغي أن يُسعى إلى الإصلاح بين المتنازعين.

٣. ثمّ يبيّن القرآن الوظيفة الثانية على النحو التالي: (فإن بغت إحداهما على الأُخرى)ولم تستسلم لاقتراح الصلح (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله). وبديهيٌّ أنّه لو سالت دماء الطائفة الباغية والظالمة ـ في هذه الأثناء ـ فإثمها عليها، أو كما يصطلح عليه إنّ دماءهم هدر، وإن كانوا مسلمين، لأنّ الفرض أنّ النزاع واقع بين طائفتين من المؤمنين.

٤. ثمّ يبيّن القرآن الوظيفة الثالثة فيقول: (فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل).أي لا ينبغي أن يقنع المسلمون بالقضاء على قوة الطائفة الباغية الظالمة بل ينبغي أن يعقب ذلك الصلح وأن يكون مقدّمة لقلع جذور عوامل النزاع، وإلاّ فإنّه بمرور الزمن ما أن يُحسّ الظالم في نفسه القدرة حتى ينهض ثانية ويثير النزاع.

٥. ومن المفيد أن نذكر بهذه النقطة وهي أنه لا حاجة لإذن حاكم الشرع في مراحل الإصلاح عن طريق الكلام والمباحثات، إلاّ أنّه لابدّ من الإذن عند اشتداد العمل ولاسيما إذا انتهى الأمر إلى سفك الدماء، فلا يجوز عندئذ الإقدام بأيّ عمل إلاّ بأمر الحكومة الإسلامية وحاكم الشرع! إلاّ في الموارد التي لا يمكن الوصول إلى حاكم الشرع بأي وجه، فللعدول عندئذ وأهل الخبرة من المؤمنين أن يتّخذوا القرار الذي يرونه.

٦. في حالة ما لو سفكت الطائفة الباغية والظالمة دماً من «الجماعة المصلحة» أو نهبت أموالاً منها، فهي ضامنة بحكم الشرع ويجري القصاص منها في صورة وقوع قتل العمد، وكذلك في مورد تسفك فيه دماء من الطائفة المظلومة أو تتلف منها أموالها فإنّ حكم القصاص والضمان ثابت أيضاً، غير أن دماء الطائفة الظالمة إذا سفكت وأموالهم إذا تلفت فلا يضمنها أحد[٢].

---

٧. ويؤيّد هذا المعنى أيضاً بعض ما نقل في شأن نزول الآية، وإلغاء الخصوصية (أنظر: تفسير الأمثل، ج٥، ص٥٣٥)

٨. أنظر: تفسير الأمثل، ص.٥٣٥

٧. حيث أنّ الهدف من هذه المقاتلة والحرب حمل الطائفة الباغية على قبول الحق، فعلى هذا لا تثار في الحرب مسألة «أسرى الحرب والغنائم» لأنّ الطائفتين بحسب الفرض مسلمتان، إلاّ أنّه لا مانع من الأسر مؤقتاً لإطفاء نائرة النزاع ولكن بعد حل النزاع والصلح يجب إطلاق الأسرى فوراً.

٨. قد يتفق أحياناً أن يكون طرفا النزاع باغيين، فهذا الطرف قتل جماعة من القبيلة الأخرى وسلب ماله، وذلك الطرف قتل جماعة من هذه القبيلة والطائفة وسلب أموالها دون أن يقنع كلّ منهما بالمقدار اللازم من الدفاع سواءً كان الطرفان «الطائفتان» بمستوى واحد من الظلم والبغي أو بعضهما أكثر اعتداءً والآخر أقل! [1].

٩. ومن المفيد أن نذكر أنَّ الآية تحدثت عن حل النزاع بين الطرفين المؤمنين؛ غير أنه إذا كان أحد الطرفين غير مسلم أو غير مؤمن فإنه لا يلزم الإصلاح؛ بل أن وظيفة المؤمنين الدفاع عن جماعة المؤمنين ونصرتهم.

دروس وعبر

١. ينبغي أن لا يغفل المسلمون عن حل النزاعات الاجتماعية التي قد تحدث بين المؤمنين فيسارعوا إلى الصلح"...فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا... ".

٢. وظيفة المسلمين هي مقاتلة الطائفة الظالمة حتى تفيء إلى أمر الله"...فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ... ".

٣. الحكم على أساس العدل: "...فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ...".

٤. من يرغب في أن يكون محبوباً عند الله فعليه بالعدل "...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ".

٥. الهدف من العدل والقسط هو نيل رضا الله تبارك وتعالى، فالله تعالى يحب هذه الخصلة.

٦. الإيمان يهيئ الأرضية للإصلاح الاجتماعي"وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا... ".

٧. من يريد تطبيق الإسلام فعليه أن يتحمل المتاعب:"فَقَاتِلُوا".

٨. الإسلام هو دين الصلح ويسعى لتحقيق الطمأنينة الاجتماعية"فَأَصْلِحُوا".

٩. العدالة أساس الحكم "بِالْعَدْلِ".

١٠. مقاتلة الظلم بهدف العودة والإنابة إلى أمر الله تعالى: "حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ".

---

٩. أنظر: تفسير الأمثل، ص٥٤٠.

أهمية الأخوة الإسلامية

الآية العاشرة من سورة الحجرات

القرآن الكريم في الآية العاشرة من سورة الحجرات يعلن الإخوة الإسلامية، ويؤكد مرةً أخرى على مسألة الإصلاح ويشير إلى أهمية التقوى في نزول الرحمة الإلهية فيقول: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ".

توضيح

وضحت الآية السابقة قضية الإصلاح بين المؤمنين، وهذه الآية تعلن سبب ذلك الإصلاح وهو أخوة المؤمنين، حيث تؤكد مرةً أخرى على طلب الإصلاح، فتقول «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» وعليه ينبغي الإصلاح «فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ»، وفي الختام تشير الآية إلى أهمية التقوى ودورها في نزول الرحمة الإلهية «وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»[1].

المفردات

إخوة: الأصل أخو، وهو: المشارك آخر في الولادة من الطرفين، أو من أحدهما أو من الرضاع.

ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة، أو في الدين، أو في صنعة، أو في معاملة أو في مودة، وفي غير ذلك من المناسبات[2].

فائدة لغوية

تعني أداة «إنما» فقط، وهي تشير إلى الحصر، وقد يكون الحصر حقيقياً وقد يكون نسبياً(حصر إضافي). والآية تشير إلى أن العلاقة بين المؤمنين مع بعضهم البعض هي الأخوة فقط؛ في حين أن العلاقة مع الآخرين هي غير علاقة الأخوة.

وهذه الجملة غير ناظرةً إلى الواقع الخارجية؛ بل هي ناظرة إلى الوضع المطلوب.

ملاحظات

١. إنّ الإسلام يرى المسلمين جميعاً بحكم الأسرة الواحدة ويخاطبهم جميعاً بالإخوان فالإسلام رفع مستوى الارتباط والحب بين المسلمين إلى درجة جعلها بمستوى أقرب العلائق بين شخصين وهي علاقة الأخوين التي تقوم على أساس المساواة والتكافؤ. فعلى هذا الأصل الإسلامي المهم فإنّ المسلمين على اختلاف قبائلهم وقوميّاتهم

---

(١) الحجرات، ١٠.

(٢) أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة أخو؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١، ص٤٨؛ لسان العرب، ج١٤، ص١٩.

ولغاتهم وأعمارهم يشعرون فيما بينهم بالأخوّة وإن عاش بعضهم في الشرق والآخر في الغرب.

٢. كما تحاولون أن تصلحوا بين الإخوة في النسب حاولوا أن تصلحوا بين الإخوة من غير النسب.

٣.إن التعبير بالأخوين جاء لأجل أن الأخوين مهما اختلفا فإنهما يتفقان، وسرعان ما ينقضي هذا الاختلاف ولا يتحول إلى حقد، إذن على المؤمنين أن يكونوا هكذا.

٤. يحكي لنا التاريخ الإسلامي أن النبي(ص) و بعد أن دخل المدينة آخا بين المهاجرين والأنصار وعقد الأخوة بينه وبين علي(ع).وهذه دروس لنا جميعاً.

٥. ورد عن النّبي الأكرم (ص)أنّه قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه»[1].وورد عنه(ص)أنّه قال: «مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى»[2].

٦. وفي ختام هذا المطاف نشير إلى رواية هي من أكثر الروايات «جمعاً» في شأن حقوق المؤمن على أخيه المؤمن التي تبلغ ثلاثين حقّاً!

قال رسول الله (ص)«للمسلم على أخيه ثلاثون حقّاً، لا براءة له منها إلاّ بالأداء أو العفوا!يغفر زلّته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويُقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلّته، ويرعى ذمّته، ويعود مرضه، ويشهد ميّته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويسمّت عطسته، ويرشد ضالّته، ويردّ سلامه، ويطيب كلامه، ويُبرّ أنعامه، ويصدق أقسامه، ويوالي وليّه، ولا يعاديه، وينصره ظالماً ومظلوماً، فأمّا نصرته ظالماً فيردّه عن ظلمه، وأمّا نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقّه، ولا يُسلمه، ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يُحبّ لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه»[3].

---

١٠. المحجة البيضاء، ج٣، ص.٣٣٢

١١. نفس المصدر، ص.٣١٩

١٢. بحار الأنوار، ج٧٤، ص٢٣٦.

١. كلمة «لعَلَّ» هنا بمعنى المقتضي والإعداد؛ وعليه يستفاد من هذه الآية أن التقوى تكون مقدمة وتهيئ الأرضية لنزول الرحمة الإلهية على الإنسان.

٢. جملة «اتَّقُوا اللَّهَ»، هي تنبيه للمسلمين على أن لا يقدموا العلاقات على الضوابط، والصلح العادل بين الإخوان في الدين.

دروس وعبر

١. الإيمان، هو الذي يهدي إلى الإخوة: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...".

٢. العقيدة والإيمان هما معيار الأخوة في الإسلام:" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ...".

٣. الإصلاح بين الأخوة هي وظيفة المؤمنين:" فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ".

٤. ينبغي الإصلاح في الخلافات الاجتماعية وليس الإفساد" فَأَصْلِحُوا...".

٥. إذا أردنا أن نكون مشمولين بالرحمة الإلهية فينبغي علينا أن نكون مصلحين ومتقين:" فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ".

الخلاصة

١. ينبغي أن لا يغفل المسلمون عن حل النزاعات الاجتماعية التي قد تحدث بين المؤمنين فيسارعوا إلى الصلح"...فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا... ".

٢. وظيفة المسلمين هي مقاتلة الطائفة الظالمة حتى تفيء إلى أمر الله"...فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ... ".

٣. إنّ الإسلام يرى المسلمين جميعاً بحكم الأسرة الواحدة ويخاطبهم جميعاً بالإخوان.

٤. العقيدة والإيمان هما معيار الأخوة في الإسلام:" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ...".

٥. إذا أردنا أن نكون مشمولين بالرحمة الإلهية فينبغي علينا أن نكون مصلحين ومتقين.

بسمه تعالی

التفسير التمهيدی

(الدرس ۱۲)

کارشناسی

المقدمة

هذا الدرس يتعلق بتفسير الآية الحادية عشرة من سورة الحجرات والتي تشير إلى طرق الحفاظ على شخصية أفراد المجتمع عوامل الخلافات الاجتماعية وآداب المعاشرة الصحيحة.

طرق الحفاظ على شخصية أفراد المجتمع
عوامل الخلافات الاجتماعية وآداب المعاشرة الصحيحة

الآية الحادية عشرة من سورة الحجرات

القرآن الكريم في الآية الحادية عشرة من سورة الحجرات يشير إلى بعض عوامل الخلاف أي السخرية، وتتبع العيوب، التنابز بالألقاب،فيمنع وبشكل واضح هذه التصرفات ويقول: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالألْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"[١].

توضيح

أشارت الآيات السابقة أخوة المؤمنين والابتعاد عن الخلافات، وهذه الآية الكريمة تبين عوامل الخلافات الفردية والاجتماعية وتحذر المؤمنين من السخرية فتقول:« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ»

ومن ثم تبين الآية عاملاً آخر فتقول: «وَلا تَلْمِزُوا أنفُسَكُمْ »، والعامل الثالث الذي تشير إليه الآية هو التنابز بالآلقاب: «وَلا تَنَابَزُوا بِالألْقَابِ» وتؤكد على أن «بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ »، وتحذر الآية في ختامها من عدم التوبة فتقول: « وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

---

١. الحجرات،١١.

شأن النزول

روية شؤون متعددة في نزول الآية الكريمة، وما نذهب إليه أن كل منها يشير إلى قسم من أقسام الآية، منها أنّ جملة (لا يسخر قومٌ من قوم) نزلت في «ثابت بن قيس» خطيب النّبي (ص) و كان في أذنه وقر و كان إذا دخل المسجد تفسحوا له حتى يقعد عند النبي فيسمع ما يقول فدخل المسجد يوما و الناس قد فرغوا من الصلاة و أخذوا مكانهم فجعل يتخطى رقاب الناس و يقول تفسحوا تفسحوا حتى انتهى إلى رجل فقال له أصبت مجلسا فاجلس فجلس خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة قال من هذا قال الرجل أنا فلان فقال ثابت ابن فلانة ذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه حياء فنزلت الآية

وقيل إنّ جملة (ولا نساء من نساء) نزلت في أُمِّ سلمة إحدى أزواج النّبي(ص)لأنّها كانت تلبس لبوساً خاصاً أو لأنّها كانت قصيرة فكانت النساء يسخرن منها، فنزلت الآية ونهت عن مثل هذه الأعمال!.

و روي أن صفية بنت حيي بن أخطب جاءت إلى النبي(ص)تبكي فقال لها ما وراءك فقالت إن عائشة تعيرني و تقول يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت أبي هارون و عمي موسى و زوجي محمد(ص)فنزلت الآية [١].

المفردات

١. **تلمزوا:** من مادة «لَمْز» على زنة «طنز» ومعناها تتّبع العيوب والطعن في الآخرين بحضور الناس[٢].

٢. **تنابزوا:** النبز، التلقيب[٣]، كل اسم لم يوضع له و إذا دعي به يكرهه[٤].

٣. **التوبة:** التاء والواو والباء كلمةٌ واحدةٌ تدلُّ على الرُّجوع. يقال تابَ مِنْ ذنبه، أي رَجَعَ عنه يتوب إلى الله تَوبةً ومَتَاباً، فهو تائب. والتَّوْبُ التَّوبة، والتوبة توبتان: توبة من الله تعالى و هي الرجوع إلى العبد بالرحمة، و توبة من العبد و هي الرجوع إلى الله بالاستغفار و الانقلاع من المعصية[٥].

---

٢. أنظر: مجمع البيان، ذيل الآية؛ تفسير الصافي، ج٥، ص٥٢.

٣. أنظر: مجمع البيان، ذيل الآية؛ تفسير الصافي، ج٥، ص٥٢.

٤. مفردات الراغب الأصفهاني، مادة نبز

٥. أنظر: مجمع البيان، ج٩، ص١٣٣.

٦. مقاييس اللغة، مادة توب؛ ممع البحرين، ج٢، ص١٤؛ الميزان، ج١، ص١٣٣.

ملاحظات

١. من الواضح أن شؤون النزول المذكورة للآية، والتي بينت مناسبة النزول وظرف النزول، وبعض مصاديق الآية؛ غير أن سبب النزول هذا لا يوجب حصر مفهوم الآية.

٢. الآيات السابقة أكدت على سلوك الأخوة بين المؤمنين وحل الخلافات بين الناس، وهذه الآية تشير إلى ثلاثة أحكام في مجال الأخلاق الإجتماعية. فالأحكام الثلاثة في الآية الأولى هي

أ. «عدم السخرية»

ب. «ترك اللمز»

ت. «ترك التنابز بالألقاب».

٣. حيث أنّ القرآن المجيد اهتمّ ببناء المجتمع الإسلامي على أساس المعايير وهذا الإستعلاء أو التكبّر غالباً ما يكون أساسه القيم المادية والظواهر المادية، وربَّما يسوقه تصوّره بأنّه أفضل من الجماعة الفلانية علماً وعبادةً ومعنوية إلى السخرية منهم، في حين أنّ المعيار الواقعي عند الله هو «التقوى» التي تنسجم مع طهارة القلب وخلوص النيّة والتواضع والأخلاق والأدب!. ولا يصحّ لأي أحد أن يقول أنا أفضل عند الله من سواي، ولذلك عُدَّ تحقير الآخرين والتعالي بالنفس من أسوأ الأمور وأقبح العيوب الأخلاقية التي يمكن أن تكون لها انعكاسات سلبية في حياة الناس جميعاً.

٤. في الوقت الحاضر تتحق السخرية بعدة لأشكال متنوعة منها: قد تكون عن طريق الطرائف، والأفلام الساخرة، الكاريكاتير، كما أنه يمكن أن تكون على شكل إعلانات صوتية أو تلفزيونية، أو في الجرائد، ومن الواضح فإن هذه الأمور يمكن أن تكون صحيحة ولا يوجد فيها أذىً للأفراد فتكون موجهة لنقد الأعمال السيئة، مما تؤدي إلى يقظة وفعالية المجتمع وهذا اللون لا إشكال فيه، وأما تلك الأشكال من السخرية إذا كانت مؤذية ومهينة للآخرين فإنها تكون محرمة.

٥. ذكر في الآية الكريمة سخرية الرجال وسخرية النساء بشكل مستقل، وذلك للتأكيد على قبح هذا الفعل، أو لشيوع هذا الأمر بين الرجال والنساء، كما مرَّ في شأن النزول.

٦. أشير في الآية الكريمة إلى حقيقة وهي أن الشخص الذي يُسخر منه ربما يكون أفضل من الشخص الساخِر، وهذا يعني أن الشخص غير مطلع على باطن الأفراد ولا يستطيع الحكم على ظاهر الأفراد، فلربما يكون المسخور منه من أولياء الله تعالى.

٧. ورد في بعض الآيات الكريمة أن أحد مسببات عذاب أهل جهنم هي السخرية من المؤمنين والاستهزاء بهم[١].

٨. قالت الآية الكريمة «وَلا تَلْمِزُوا أنفُسَكُمْ»، وهذا التعبير فيه إشارة إلى وحدة المؤمنين، أي أن المؤمنين جميعاً بمنزلة النفس الواحدة، فإن توجيه الطعن لأي منهم هو بمثابة الطعن للآخرين.

٩. إن إطلاق الألقاب السيئة لغرض تحقير الأشخاص وسحق شخصياتهم، أو الانتقام منهم؛ خصوصاً إذا كان أولئك قد تابوا من تلك الأعمال، فإنه يعيد إلى أذهانهم أحداث سيئة، وقد منع الإسلام هذا اللون من التصرف.

١٠. كلمة «فسق» تعني العصيان والخروج عن طاعة الله، وقد ذكر المفسرون احتمالين لها في الآية؛ الأول، أنّ الله نهى المؤمنين أن يرضوا بأسماء الفسق فيما بينهم. والثاني؛ بمعنى الكفر. ولا مانع من جعله في قبال الإيمان، فيكون المعنى أي قبيح جدّاً على من دخل في سلك الإيمان أن يذكر الناس بسمات الكفر. ولا مانع من الجمع بين المعنيين، فيمكن أن يكون المراد كليهما.

١١. أشير في الآية إلى أن المستهزئين والذين يطلقون العيوب السيئة على الآخرين هم ظالمين، وأي ظلم أسوأ من أن يؤذي شخص بالكلمات اللاذعة و«اللاسعة» والتحقير واللمز لقلوب المؤمنين التي هي «مركز عشق» الله وأن يطعن في شخصياتهم ويبتذل كرامتهم التي هي أساس شخصيتهم؛ وهذا ما يشيع الظلم في المجتمع، ويزرع بذور الاختلاف فيه.

دروس وعبر

١. احترام شخصية الأفراد، وعدم المساس بهم "...لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ...".

٢. المنع من السخرية وتتبع العيوب وإطلاق الألقاب السيئة على الآخرين؛ لأنها ظلم "...فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ".

٣. حتى لا يحسب الإنسان من الظالمين، يجب عليه الرجوع والتوبة إلى الله تعالى وترك الأعمال السيئة "...وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ".

٤. الاستهزاء بالآخرين هو عمل الجهلة "...عَسَى أن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ...".

---

٧. "فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ".

٥. إن إطلاق العيوب على المسلمين هو بمثابة إطلاقه على قائله "...وَلا تَلْمِزُوا أنفُسَكُمْ...".

٦. احتمال كون الآخرين المتعرضين للسخرية والاستهزاء أفضل من الطرف المقابل: "...عَسَى أن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ...".

الخلاصة

١. الآية تشير إلى ثلاثة أحكام في مجال الأخلاق الإجتماعية. فالأحكام الثلاثة في الآية هي «عدم السخرية» و«ترك اللمز» و«ترك التنابز بالألقاب».

٢. أن سبب النزول الوارد بشأن نزول الآية لا يوجب حصر مفهومها بمصداق معين.

٣. أنّ المعيار الواقعي عند الله للأفضلية هو «التقوى» التي تنسجم مع طهارة القلب وخلوص النيّة والتواضع والأخلاق والأدب.

٤. حتى لا يدخل الإنسان في زمرة الظالمين، يجب عليه الرجوع والتوبة إلى الله تعالى وترك الأعمال السيئة "...وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ".

٥. «وَلا تَلْمِزُوا أنفُسَكُمْ»، التعبير فيه إشارة إلى وحدة المؤمنين، أي أن المؤمنين جميعاً بمنزلة النفس الواحدة، فإن توجيه الطعن لأي منهم هو بمثابة الطعن للآخرين.

بسمه تعالی

التفسير التمهيدی

(الدرس ۱۳)

کارشناسی

المقدمة

الهدف من هذا الدرس هو التعرف على تفسير مختصر للآية الثانية عشرة من سورة الحجرات والتي تنهى المؤمنين عن سوء الظن والتجسس والاغتياب، وسوف نتناول معاني هذه المفردات وسبب نزول الآية الكريمة والآثار الاجتماعية الخطيرة على شيوع هذه الأمراض ومن ثم نختتم الدرس بالإشارة إلى الدروس والعبر المستخلصة من هذه الآية الشريفة فالقرآن الكريم بحاجة إلى تدبر وتأمل حتى نستطيع أن نفهمه فهماً صحيحاً ونجعل منه منهاج عمل لحياتنا.

الآية الثانية عشرة من سورة الحجرات

القرآن الكريم في الآية الثانية عشرة من سورة الحجرات يشير إلى بعض عوامل الخلافات الاجتماعية، وهي «سوء الظن» و« الغيبة» فيقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ"[١].

توضيح

صرحت الآية السابقة بالمنع عن بعض عوامل الخلاف، وهذه الآية تشير إلى عوامل الخلافات الاجتماعية، ومنها سوء الظن فتقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ»، ومن ثمَّ تنهى عن التجسس فتقول:«وَلَا تَجَسَّسُوا»، ومن ثمَّ تتعرض الآية إلى تشبيه رائع للغيبة فتقول: «وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ»، وفي ختامها تشير الآية إلى أن الله يقبل التوبة وهو رحيم فتقول: «وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ».

١. الحجرات، ١٢.

شأن النزول

وقالوا إنّ جملة (ولا يغتب بعضكم بعضاً) نزلت في نفرين من الصحابة اغتابا صاحبهما «سلمان» لأنّهما كانا قد بعثاه نحو النّبي (ص)ليأتيهما بطعام منه، فأرسل النّبي سلمان نحو «أسامة بن زيد» الذي كان مسئول بيت المال فقال أسامة ليس عندي شيء الآن.. فاغتابا أسامة وقالا إنّه بخيل وقالا في شأن سلمان: لو كنّا أرسلناه إلى بئر سميحة لغاض ماؤها «وكانت بئراً غزيرة الماء» ثمّ انطلقا ليأتيا أسامة وليتجسّسا عليه، فقال لهما النّبي (ص) إنّي أرى آثار أكل اللحم على أفواهكما: فقالا يا رسول الله لم نأكل اللحم هذا اليوم فقال رسول الله: أجل تأكلون لحم سلمان وأسامة[١]. فنزلت الآية ونهت المسلمين عن الإغتياب[٢].

المفردات

١. الظن: اسم لما يحصل عن أمارة، ومتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت جدا لم يتجاوز حد التوهم، ومتى قوي أو تَصَوَّر تَصَوَّرَ تَصَوُّرَ القوي استعمل معه (أنَّ) المشددة، و (أن) المخففة منها[٣].

٢. الإثم: الإثم والآثام: اسم للأفعال المبطئة عن الثواب، يقال: أثمت الناقة المشي تأثمه إثما: أبطأت[٤].

٣. التجسس: «التجسّس» و«التحسّس» كلاهما بمعنى البحث والتقصّي، إلاّ أنّ الكلمة الأُولى غالباً ما تستعمل في البحث عن الأُمور غير المطلوبة، والكلمة الثانية على العكس حيث تستعمل في البحث عن الأُمور المطلوبة أو المحبوبة! [٥].

ملاحظات

١. عبر بمفردة «كثير» عن الظن؛ لأن سوء الظن والنظرة الخاطئة كثيراً ما يكون أكثر من حسن الظن؛ وإذا لم يكن حسن الظن ممنوعاً فهو حسن.

---

٢. وهذان الشخصان ظنا السوء بأسامة، وكانا يقصدان التجسس والغيبة.

٣. مجمع البيان، ج٩، ١٣٥؛ القرطبي مع اختلاف قليل.

٤. مفردات الراغب الأصفهاني، مادة « ظن».

٥. نفس المصدر، مادة « اثم».

٦. ومنه ما ورد على لسان يعقوب في وصيته ولْدَه:"يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ". يوسف، ٨٧. أنظر تفسير الأمثل، ج١٦، ص٥٤٨.

٢. المراد من هذا النهي هو النهي عن ترتيب الآثار، أي متى ما خطر الظنّ السيء في الذهن عند المسلم فلا ينبغي الإعتناء به عمليّاً، ولا ينبغي تبديل أسلوب التعامل معه ولا تغيير الروابط مع ذلك الطرف، فعلى هذا الأساس فإنّ الإثم هو إعطاء الأثر وترتّبه عليه. ولذلك نقرأ في هذا الصدد حديثاً عن نبيّ الإسلام يقول فيه: «ثلاث في المؤمن لا يستحسنّ، وله منهنّ مخرج فمخرجه من سوء الظن ألاّ يحقّقه»[١].

٣. يستطيع الإنسان أن يبعد عن نفسه سوء الظن بالتفكير في المسائل المختلفة، بأن يفكر في طرق الحمل على الصحة، وأن يجسّد في ذهنه الاحتمالات الصحيحة الموجودة في ذلك العمل؛ لذلك فقد ورد في الروايات أنّه: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يقلبك منه، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجدُ لها في الخير»[٢]، وهذا لا يعني أن يعمل البعض أعمالاً مشبوهةً تؤدي بالآخرين إلى سوء الظن بهم، فعليهم أن يتجنبوا مواضع التهمة.

٤. إنّ الإسلام يريد أن يكون الناس في حياتهم الخاصة آمنين من كل الجهات، وبديهي أنّه لو سمح الإسلام لكلّ أحد أن يتجسّس على الآخرين فإنّ كرامة الناس وحيثيّاتهم تتعرض للزوال. وإنّ هذا الأمر لا ينافي وجود أجهزة «مخابرات» في الحكومة الإسلامية لمواجهة المؤامرات، ومن هنا فإنّ النّبي(ص)كان قد أعدّ أشخاصاً وأمرهم أن يكونوا عيوناً لجمع الأخبار واستكشاف المجريات[٣].

٥. يفهم من الآية أن الإسلام يريد الحفاظ على حياة الناس الخاصّة، ومن هنا فإن التجسس على الأمور الشخصية للناس يعد عملاً محرماً؛ لأنه يؤدي إلى هتك حرمة الأفراد.

٦. الغيبة هي ذكر الأخ المسلم بعيب جسماني، أو أخلاقي، أو عملي، مستور عن الآخرين[٤]، إذن ذكر العيب الظاهر لا يعد غيبة ؛ إلاّ أن يراد منه الذم والعيب فهو في هذه الصورة حرام. وأمَّا ذكر المؤمن بعيب ليس فيه فيعد بهتاناً[٥].

---

٧. المحجة البيضاء، ج٥، ص.٢٦٩

٨. نهج البلاغة، الكلمات القصار، ص٣٦٠؛ أصول الكافي، ج٢، باب التهمة وسوء الظن، ح.٢

٩. أنظر: تفسير الأمثل، ج١٦، ص٥٤٨-.١٤٩

١٠. ورد في بعض الأحاديث قيد الكره«ذكر أخاك بما يكره» أنظر: ميزان الحكمة، ج.٧

١١. وهذا ما أشارة إليه الأحاديث منها ما ورد عن الإمام الصادق $: «الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه، وأمّا الأمر الظاهر فيه مثل الحدّة والعجلة فلا، والبهتان أن تقول ما ليس فيه».(أنظر، أصول الكافي، ج٢، باب الغيبة والتهمة؛ مكاسب الشيخ الأنصاري؛ تفسير الأمثل، ج١٦، ص٥٤٥_٥٤٦).

٧. ولتقبيح هذا العمل يتناول القرآن مثلاً بليغاً يجسّد هذا الأمر فيقول: (أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه)!. أجل، إنّ كرامة الأخ المسلم وسمعته كلحم جسده، وابتذال ماء وجهه بسبب اغتيابه وإفشاء أسراره الخفية كمثل أكل لحمه، وهو ما يستفاد من حديث النبي في شأن نزول الآية.

٨. كلمة «ميتاً» للتعبير عن أنّ الاغتياب إنّما يقع في غياب الأفراد، فمثلهم كمثل الموتى الذين لا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم، وهذا الفعل أقبح ظلم يصدر عن الإنسان في حقِّ أخيه!.

٩. ورد في هذه الآية مفردة «أخيه» للتدليل على العلاقة العاطفية بين المسلمين مع بعضهم البعض، فلا ينبغي للمؤمنين أكل لحم بعضهم البعض في الغيبة.

١٠. ورد في بعض الروايات المنع من الغيبة وصرحت بآثارها السلبية، ومنها عن النبي(ص)«من اغتاب مسلماً أو مسلمةً لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً، إلا أن يغفر له صاحبه» وعن علي(ع):«السامع للغيبة كالمغتاب»[١].

١١. حددت الآية والأحاديث ثلاث وظائف للتوبة من الغيبة:

أ) التوبة، بمعنى الاستغفار وطلب العفو من الله تعالى.

ب) طلب الصفح من الشخص المغتاب؛ لأن الغيبة متعلقة بحق الناس، وقبول التوبة منها متوقفة على رضا الطرف الآخر ـ في حالة الإمكان وعدم وجود مفسدة.

ج) إذا لم يتمكن من الوصول إلى الشخص المغتاب، يستغفر له.

١٢. حددت الأحاديث وظائف السامع للغيبة وهو الدفاع عن حرمة المسلم، وإلا فإنه يكون شريكاً في الإثم، عن النبي(ص): «من اغتيب عنده أخوه المسلم فاستطاع نصره فلم ينصره خذله الله في الدنيا والآخرة»[٢].

١٣. للغيبة آثار ونتائج خطيرة، منها، قتل الشخصية المغتابة، هتك حرمة الأشخاص، إيجاد الخلافات الاجتماعية، فالغيبة تولّد النظرة السيئة وتضعف العلائق الإجتماعية وتوهنها فإنّ الإغتياب ينثر في القلوب بذور الحقد والعداوة وربّما أدّى أحياناً إلى الاقتتال وسفك الدماء في بعض الأحيان. ومن هنا كان إثمه أكبر من قتل النفس أحياناً.

١٤. يمكن أن يكون اغتياب المسلمين جائز بعدة صور:

أ) الاستشارة في أمور العمل، الزواج وأمثالها.

ب) المتجاهر بالفسق.

---

١٢. أنظر: ميزان الحكمة، ج٧، مبحث الغيبة.

١٣. أنظر: نفس المصدر.

ج) غيبة السلطان الكاذب والظالم.

د) غيبة أهل البدع والعقائد الفاسدة.

هـ) بيان العيوب في الشهادة عند المحكمة بالمقدار الضروري.

و) نقد الآثار العلمية للآخرين بنظر بعض العلماء(١).

١٥. في الآية ثلاث مراحل مرتبطة مع بعضها البعض، الأولى سوء الظن هو أساس المرحلة الثانية وهي التجسس، والتجسس يستوجب إفشاء العيوب والأسرار، وهي المرحلة الثالثة والإطلاع عليها يستوجب الغيبة، والإسلام ينهى عن جميعها علةً ومعلولاً!.

دروس وعبر

١. ينبغي أن يسود الأمن في المجتمع الإسلامي، وليس من حق أحد أن يسئ الظن: "...اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ...".

٢. سوء الظن يسبب تتبع الأمور الشخصية للناس وهو التجسس "وَلا تَجَسَّسُوا".

٣. المنع من الغيبة لأنها تؤدي إلى قتل الشخصية: " ولا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا".

٤. التخلص من جذور عوامل الاغتياب " اجْتَنِبُوا ـ لا تَجَسَّسُوا ـ لا يَغْتَب".

٥. جبر أضرار الغيبة غير ممكن عادةً: "أيحب أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا".

٦. سوء الظن والتجسس يؤدي إلى الغيبة(سوء الظن ـ التجسس ـ الغيبة).

---

١٤. أنظر: نفس المصدر.

الخلاصة

١. عبر بمفردة «كثير» عن الظن؛ لأن سوء الظن والنظرة الخاطئة كثيراً ما يكون أكثر من حسن الظن؛ وإذا لم يكن حسن الظن ممنوعاً فهو حسن.

٢. يستطيع الإنسان أن يبعد عن نفسه سوء الظن بالتفكير في المسائل المختلفة، بأن يفكر في طرق الحمل على الصحة.

٣. أن الإسلام يريد الحفاظ على حياة الناس الخاصّة، ومن هنا فإن التجسس على الأمور الشخصية للناس يعد عملاً محرماً؛ لأنه يؤدي إلى هتك حرمة الأفراد.

٤. وظائف التوبة من الغيبة هي: الاستغفار، وطلب الصفح من الشخص المغتاب، والاستغفار للشخص المغتاب.

٥. للغيبة آثار ونتائج خطيرة، منها، قتل الشخصية المغتابة، هتك حرمة الأشخاص، إيجاد الخلافات الاجتماعية.

بسمه تعالی

التفسیر التمهیدی

(الدرس ١٤)

کارشناسی

المقدمة

الهدف من هذا الدرس هو التعرف على معيار الأفضلية عند ونفي المعايير المصطنعة والتي تقوم على أساس خاطئ والمتمثل باللون أو العرق أو الطائفة وغيرها من المعايير الموهومة والتي يكون منشئها الانتماء للعرق واللون والابتعاد عن روح الإسلام الأصيلة، وهذا ما تشير إلى الآية الثالثة عشرة من سورة الحجرات حيث سنتعرف على تفسير مختصر نتناول فيه شأن نزول الآية، ونبين بعض المفردات المتعلقة بها، مختتمين الدرس بذكر نقاط مهمة ودروس وعبر مستلهمة من الآية الكريمة.

نظام المساواة ومعايير الأفضلية

معنى الإيمان والإسلام والفرق بينهما

الآية الثالثة عشرة من سورة الحجرات

القرآن الكريم في الآية السادسة عشرة من سورة الحجرات يشير إلى الأهلية والتقوى باعتبارها معياراً للأفضلية ونفي العنصرية، فيقول: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"[١].

توضيح

تحدثت الآيات السابقة عن خصائص المجتمع الإيماني، والتخلص من عوامل الاختلاف بين المؤمنين. وهذه الآية تتعرض إلى عامل آخر من العوامل التي تثير الاختلاف في المجتمع البشري، وهي التفرقة على أساس العرق أو«العنصرية»، فتقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا»، ثم تتعرض الآية إلى التقوى، باعتبارها معيار التفاضل بين الناس فتقول: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»، في ختامها تقول: «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ».

١. الحجرات، ١٣.

شأن النزول

قصة نزول هذه الآية نقلت بصورتين:

الأولى: إنّ النّبي(ص)أمر «بلالاً» بعد فتح مكّة أن يؤذّن، فصعد بلال وأذّن على ظهر الكعبة، فقال «عتّاب بن أسيد» الذي كان من الأحرار: أشكر الله أن مضى أبي من هذه الدنيا ولم يرَ مثل هذا اليوم.. وقال «الحارث بن هشام»: ألم يجدْ رسول الله غير هذا الغراب الأسود للأذان؟! «فنزلت الآية الآنفة وبيّنت معيار القيم الواقعية»

الثانية: وقال بعضهم: نزلت الآية عندما أمر الرّسول (ص)بتزويج بعض الموالي من بنات العرب «والموالي تطلق على العبيد الذين عُتقوا من ربقة أسيادهم أو على غير العرب (المسلمين)». فتعجّبوا وقالوا: يا رسول الله أتأمرنا أن نزوّج بناتنا من الموالي «فنزلت الآية وأبطلت هذه الأفكار الخرافية»[١].

المفردات

١. الشعوب والقبائل: وقد اختلف المفسّرون في بيان الفرق بين «الشعوب» جمع شعب ـ على زنة صعب ـ (الطائفة الكبيرة من الناس) و«القبائل» جمع قبيلة فاحتملوا احتمالات متعدّدة:

قال جماعة إنّ دائرة الشعب أوسع من دائرة القبيلة، كما هو المعروف في العصر الحاضر أن يطلق الشعب على أهل الوطن الواحد.

وقال بعضهم: كلمة «شعوب» إشارة إلى طوائف العجم، وأمّا «القبائل» فإشارة طوائف العرب.

وأخيراً فإنّ بعضهم قال بأنّ «الشعوب» إشارة إلى انتساب الناس إلى المناطق «الجغرافية» و«القبائل» إشارة إلى انتسابهم إلى العرق والدم[٢]، ونحن نقبل جميع هذه المعاني، فمقصود الآية نفي العنصرية.

٢. أكرم: الكرم: شرف الرجل[٣]. إذا وصف الله تعالى به فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر، وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه[٤].

---

٢. روح البيان، ج٩؛ تفسير القرطبي، ج٩، ص٦١٦٠؛ تفسير الأمثل، ج، ص١٦، ص٥٦٢-٥٦٣.

٣. تفسير الأمثل، ج، ص١٦، ص٥٦٢ (وقد رجح صاحب تفسير الأمثل المعنى الأول، ولا يبعد المعنى الثالث).

٤. أنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١٠، ص٤٦؛ العين، ج٥، ص٣٦٨، وغيرها من كتب اللغة.

٥. مفردات الراغب الأصفهاني، مادة كرم.

ملاحظات

١. إن المقصود من خلق جميع الناس من رجل وامرأة هو عودة الجميع إلى آدم وحواء. وعليه فأصل الجميع واحد، وأن القول بالأفضلية على أساس القبائل، أو الشعوب أو الأعراق لا معنى له.

٢. في الآية الكريمة إشارة إلى أن الله تعالى خلق الناس وجعلهم بصورة القبائل والشعوب والأعراق وبألوان مختلفة حتى تتحد هذه الخصائص الفردية والاجتماعية وعلى اختلافها من أجل التعارف وحفظ النظام الاجتماعي ومنع التبعثر والهرج والمرج.

٣. تتفاوت القيم بين الشعوب والمجموعات الاجتماعية، فالبعض يفتخر بالانتساب إلى عرق واحد، أو شعب أو قبيلة، ويعتبر البعض أن القيم تكمن في الثروة والأمور المادية وأنها تعبر عن شخصية الأفراد، وأن معيار الأفضلية عندهم هو المناصب السياسية والاجتماعية؛ غير أن القرآن الكريم حدد مجموعة من القيم الأصيلة وهي معيار أفضلية الإنسان على الآخرين:

ألف) التقوى.

ب) العلم والمعرفة[١].

ج) الجهاد والمقاومة[٢].

ت) البصيرة والمعرفة[٣].

ث) الإيمان[٤].

٤. ترسم هذه الآية النظام القيمي للإسلام، وتبين الحد الفاصل بين القيم الواقعية والأصيلة، والقيم الكاذبة والظاهرية، وتعرِّف القيمة الأصيلة المتمثلة بالتقوى، فتريد أن تقول: إن أكرمكم أتقاكم؛ لأن العلم والجهاد والبصيرة مقترنة بالتقوى؛ وإلا فإن الإنسان يمكن أن يتعرض للانحراف.

٥. إن الآية الكريمة حينما تريد أن تنفي التفاضل على أساس العرق والعنصرية لا يعني هذا عدم الاهتمام بالوطن والشعب وإهماله، وترك التصدي للدفاع عن قضاياه؛ بل أن المقصود عدم اعتبار العرق والوطن القيمة الأساسية والمعيار للتفاضل.

---

٦. "...هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ...".(الزمر، ٩).

٧. "...فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا". (النساء، ٩٥).

٨. "... هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ...". (الأنعام، ٥٠).

٩. " أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ ". (السجدة، ١٨).

٦. روي عن النبي(ص) أنه التفت إلى الناس وهو راكب على بعيره في أيّام التشريق بمنى وهي اليوم الحادي عشر والثّاني عشر والثّالث عشر من ذي الحجة فقال: «يا أيّها الناس! ألا إنّ ربّكم واحد وإنّ أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلاّ بالتقوى ألا هل بلّغت: قالوا نعم! قال: ليبلغ الشاهد الغائب»[١].

٧. يريد الإسلام من جميع الناس، وعلى اختلاف ألوانهم وأعراقهم أن ينضووا تحت راية واحدة هي راية التوحيد والتقوى، وترك الآراء الضيقة والمحدودة، ونبذ الجاهلية والعصبية، والرجوع إلى القيم الإنسانية الأصيلة كالتقوى.

٨. تعني مفردة التقوى الحفظ (الجسم والنفس) من الضرر[٢]،والمراد في هذه الموارد حفظ النفس من التلوّث بشكل عام.

لقد كانت التقوى موضع اهتمام القرآن الكريم، واعتبرها أفضل زاد، وهي معيار الأفضلية.

٩. وقد ذكرت للتقوى عدة مراحل منها:

ألف) التقوى العقائدية: وهي حفظ النفس من العذاب عن طريق اكتساب المعارف والعقائد الصحيحة.

ب) التقوى في قبال الذنوب: وهي أعم من ترك الواجبات أو اقتراف المحرمات.

ج) التقوى القلبية: وهي صرف القلب عن كل ما يشغله[٣].

١٠. ورد عن أمير المؤمنين أنه قال: «... ألا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطايا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْها اءَهْلُها وَاءُعْطُوا اءَزِمَّتَهَا فَاءَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ...» [٤].

١١. ومن ما هو جدير بالذكر أن الآية الكريمة تعرف التقوى باعتبارها قيمة أصيلة؛ غير أنها أمر باطني فبإمكان أي شخص أن يدعيها كذباً، فالآية تعرضت إلى محل تقييمها وهو الله تعالى وعن طريقه؛ لأنه تعالى عالم ومطلع على كل شيء.

دروس وعبر

١. التقوى هي معيار الكرامة الإنسانية:"...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...".

---

١٠. تفسير القرطبي، ج٩، ص.٦١٦٢

١١. " أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ ". (السجدة، ١٨).

١٢. أنظر: بحار الأنوار، ج٧٠، ص .١٣٦

١٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٦.

٢. العِرق والشعب ليسا معيارين لأفضلية الناس: "...وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...".

٣. العرق والشعب علامة لتعارف الناس، وليسا القيمة الأصيلة للأفضلية: "لِتَعَارَفُوا".

٤. جميع أفراد البشر يعودون إلى أصل واحد وعائلة واحدة: "...خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى...".

٥.المعيار الأصيل هي التقوى: "... أَتْقَاكُمْ...".

٦. إذا كنت تطلب الأفضلية فعليك بالسباق للوصول إلى التقوى، وليس السباق نحو التفاخر في العرق وغيره.

الخلاصة

١.الآية الكريمة تتحدث عن عامل خطير من عوامل الفرقة بين المسلمين وهو العنصرية.

٢. ذكرت صورتان لشأن نزول الآية الكريمة وكلاهما ينسجمان مع روح الآية.

٣. إن المقصود من خلق جميع الناس من رجل وامرأة هو عودة الجميع إلى آدم وحواء. وعليه فأصل الجميع واحد، وأن القول بالأفضلية على أساس القبائل، أو الشعوب أو الأعراق لا معنى له.

٤. ترسم هذه الآية النظام القيمي للإسلام، وتبين الحد الفاصل بين القيم الواقعية والأصيلة، والقيم الكاذبة والظاهرية، وتعرِّف القيمة الأصيلة المتمثلة بالتقوى،

٥. يريد الإسلام من جميع الناس، وعلى اختلاف ألوانهم وأعراقهم أن ينضووا تحت راية واحدة هي راية التوحيد والتقوى، وترك الآراء الضيقة والمحدودة، ونبذ الجاهلية والعصبية، والرجوع إلى القيم الإنسانية الأصيلة كالتقوى.

بسمه تعالی

التفسير التمهيدی

(الدرس ١٥)

کارشناسی

المقدمة

يهدف هذا الدرس إلى التعرف على الفرق بين الإيمان والإسلام وإلى علامات المؤمنين الصادقين من خلاف تفسير مختصر للآيتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة من سورة الحجرات، وسنتطرق إلى شأن نزول نزولهما وتوضيح بعض المفردات مثل مفردة الأعراب، والإيمان، ويرتابون، وجاهدوا ونبين أهم النقاط والواردة فيهما ونذكر الدروس والعبر المستخلصة منهما.

الآية الرابعة عشرة من سورة الحجرات

يشير القرآن الكريم في الآية الرابعة عشرة من سورة الحجرات إلى الفرق بين الإيمان والإسلام، وإلى طاعة الله ورسوله باعتبارها شرط قبول ثواب الأعمال، فيقول: "قَالَتِ الأعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"[١].

توضيح

كان الكلام في الآية السابقة على نفي عوامل الاختلاف، وهذه الآية تشير إلى عامل وحدة المجتمع وهو الإيمان مع إلماحة إلى الفرق بين الإيمان والإسلام، فتقول: «قَالَتِ الأعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أسْلَمْنَا..»، ومن ثم تبين الآية دليل هذا الأمر فتقول: «...وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ...»، ثمّ تضيف الآية محل البحث أن شرط قبول الأعمال منوط بطاعة الله ورسوله فتقول: «...وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أعْمَالِكُمْ شَيْئًا...»، وفي النهاية تبين الآية وبشكل ضمني علة هذا الأمر، فتقول: «... إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

شأن النزول

ورد المدينة جماعة من «بني أسد» في بعض سني الجدب والقحط وأظهروا الشهادتين على ألسنتهم أملاً في الحصول على المساعدة من النّبي(ص)وقالوا

---

١. الحجرات، ١٤.

للرسول أنّ قبائل العرب ركبت الخيول وحاربتكم إلاّ أنّنا جئناك بأطفالنا ونسائنا دون أن نحاربك، وأرادوا أن يمنّوا على النّبي عن هذا الطريق!

فنزلت هذه الآية والتي بعدها، وكشفتا أنّ إسلامهم ظاهري ولم يتغلغل الإيمان في أعماق قلوبهم، ثمّ إذا كانوا مؤمنين فما ينبغي عليهم أن يمنّوا على الرّسول الإيمان بل الله يمنّ عليهم أن هداهم للإيمان[١].

المفردات

١. الأعراب: العرب: ولد إسماعيل، والأعراب جمعه في الأصل، وصار ذلك اسما لسكان البادية[٢].

٢. الإسلام: السلم والسلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة والإسلام: الدخول في السلم، وهو أن يسلم كل واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه، ومصدر أسلمت الشيء إلى فلان: إذا أخرجته إليه، ومنه: السلم في البيع. والإسلام في الشرع على ضربين: أحدهما؛ دون الإيمان، وهو الاعتراف باللسان، وبه يحقن الدم، حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل، والثاني؛ فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر[٣].

ملاحظات

١. وطبقاً لمنطوق الآية فإنّ الفرق بين «الإسلام» و«الإيمان» في أنّ:

---

٢. أنظر: التفاسير التالية: روح البيان؛ في ظلال القرآن، الميزان، الأمثل(ذيل الآية).

٣. مفردات الراغب الأصفهاني، مادة عرب.

٤. نفس المصدر، مادة سلم.

الإسلام له شكل ظاهري قانوني، فمن تشهد بالشهادتين بلسانه فهو في زمرة المسلمين وتجري عليه أحكام المسلمين.
أمّا الإيمان فهو أمر واقعي وباطني، ومكانه قلب الإنسان لا ما يجري على اللسان أو ما يبدو ظاهراً!،.
الإسلام ربّما كان عن دوافع متعدّدة ومختلفة بما فيها الدوافع الماديّة والمنافع الشخصية، إلاّ أنّ الإيمان ينطلق من دافع معنوي، ويسترفد من منبع العلم، وهو الذي تظهر ثمرة التقوى اليانعة على غصن شجرته الباسقة[١].
وهذا التفاوت في المفهومين فيما إذا اجتمع اللفظان معاً، إلاّ أنّه إذا انفصل كلٌّ عن الآخر فربَّما أطلق الإسلام على ما يُطلق عليه بالإيمان، أي أنّ اللفظين قد يستعملان في معنى واحد أحياناً.

٢. أشار الرّسول الأكرم(ص)في تعبير رائع وبليغ إلى الإسلام والإيمان فقال: «الإسلام علانية والإيمان في القلب»[٢].

كما إنّا نقرأ حديثاً آخر عن الإمام الصادق يقول فيه: «الإسلام يحقن الدم وتؤدّى به الأمانة وتستحلُّ به الفروج والثواب على الإيمان»

وربَّما كان لهذا السبب أنّ بعض الروايات تحصر مفهوم الإسلام بالإقرار اللفظي، في حين أنّ الإيمان إقرار باللسان وعمل بالأركان، إذ تقول الرواية «الإيمان إقرار وعمل، والإسلام إقرار بلا عمل»[٣].

٣. وفي رواية «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (ص) وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان فهذا الإسلام، والإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا فان أقر بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلما

---

٥. تفسير الأمثل، ج١٦، ص٥٧٠. ومن هنا فإن الإنسان إذا أقر بظاهر الألفاظ بالتوحيد والنبوة؛ ولم يعتقد بقلبه فإنه يعتبر مسلماً منافقاً، ولا يعد مؤمناً.

٦. أصول الكافي، ج٢، باب « أن الإسلام يحقن به الدم»، حديث ١، ٢.

٧. نفس المصدر« الإيمان إقرار وعمل والإسلام إقرار بلا عمل ».

وكان ضالا»[١]، وهذا النحو من الأحاديث يعرف لنا المصداق الكامل للإيمان والمتمثل بمعرفة الحق والولاية.

٤. في الآية الكريمة إشارة إلى أن الشخص المسلم والمؤمن والمطيع لله ورسوله سيوفّى ثواب أعماله بشكل كامل ولا ينقص منها شيئاً، وهذا يعني أن شرط قبول أعمال الإنسان هو الإيمان، ولازمه الإيمان القلبي بالله ورسوله(ص)والإطاعة العملية للأوامر الإلهية؛ ولكن الشخص الذين يكون مسلماً فقط ويؤدي العبادات كالصلاة وغيرها، فإنه يكون قد أسقط التكليف والعذاب؛ إلا أنه يحرم من الثواب، ولا ينال التكامل الروحي.

دروس وعبر

١. الإيمان يفترق عن الإسلام، فهو أعلى المرتبتين: "...قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا...".

٢. ليس الإيمان بالإدعاء والكلام، بل أنه يتحقق على أساس العمل والقلب.

٣. مكان الإيمان هو القلب، وأمَّا الإسلام فمحله اللسان: "...وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ...".

٤. المطيعون لله ورسوله(ص)ينالون ثوابهم بشكل كامل غير منقوص: "... لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا...".

٥. إذا كان الشخص مدعياً كذباً ومستغلاً للإيمان فينبغي فضحه، وتذكيره بمستواه.

علامات المؤمنين الصادقين

العلم الإلهي اللامتناهي

القرآن الكريم في الآية الخامسة عشرة من سورة الحجرات يشير إلى علامات الإيمان الحقيقي، وهي الإيمان، وعدم التردّد في مسير الإسلام، والجهاد، فيقول: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ"[٢].

---

٨. تفسير الصافي، ج٥، ص ٦، ٥٥.

٩. الحجرات، ١٥.

توضيح

تحدثت الآية السابقة عن الفرق بين الإيمان والإسلام، وهذه الآية تعرف المؤمنين الحقيقيين، فتقول في مطلعها: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...»، ثم تتعرض إلى علامتين من علامات المؤمنين، وهما عدم التردد في مسير الإسلام، والجهاد فتقول: «...ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...»، وهذه علامة صدق الإيمان، ثم تضيف الآية قائلةً: «...أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ».

المفردات

١. يرتابوا: مشتق من «الريب»، وهو الشك، والرَّيْبُ والرِّيبةُ الشَّكُّ والظِّنَّةُ والتُّهْمَةُ، أرابَنِي أوهَمَني الرِّيبةَ وظننتُ ذلك به[١].

٢. جاهدوا: مشتق من «جهد»: الطاقة والمشقة، وقيل: الجهد بالفتح: المشقة، والجهد: الوسع، والجهاد أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة[٢]، ويظهر هذا المعنى بشكل كامل في الحرب.

٣. سبيل: السَّبيلُ الطريقُ وما وَضَحَ منه وسَبيلُ الله طريق الهُدى الذي دعا إليه[٣]، واعتبر البعض أنه مشتق من «سبَل»، فقال: الطريق الذي فيه سهولة، وجمعه سبل[٤].

ملاحظات

١. ذكرت الآية الكريمة خمس علامات للمؤمن الحقيقي، حتى يتميز ويعرف المؤمنون الصادقون من الكاذبين، وهذه العلامات هي:

ألف) الاعتقاد بالله.

ب) الاعتقاد بالنبي.

ج) عدم التردد.

د) الجهاد بالأموال في سبيل الله.

هـ) الجهاد بالنفس في سبيل الله.

---

١٠. أنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٤، ص٢٥١؛ العين؛ لسان العرب.

١١. أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة جهد؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٢، ص١٢٩.

١٢. أنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٥، ص٤٣ نقلاً عن المصباح المنير؛ لسان العرب، ج١١، ص٣١٩.

١٣. أنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٥، ص٤٣، مفردات الراغب الأصفهاني، مادة «سبل».

٢. وهذه العلامات الخمس هي أفضل علامات المؤمن قيمة؛ لأن الإيمان إذا لم ينفذ في قلب الإنسان، فإنه لا يضحي بنفسه وماله في سبيل الله، وإذا كان الشخص بهذه الحال فهذا يعني أنه ليس من المؤمنين الصادقين.

٣. ليس المعيار الذي ذكرته الآية لمعرفة المؤمنين الحق وتمييزهم عن الكاذبين المدّعين بالإسلام تظاهراً منحصراً بفقراء جماعة بني أسد ـ كما هو الوارد في شأن النزول ـ، بل هو معيار واضح وجلي ويصلح لكلّ عصر وزمان لفصل المؤمنين عن المتظاهرين بالإسلام، ولبيان قيمة أُولئك الذين يمنّون بأنّ أسلموا على النّبي(ص)وذلك بحسب الظاهر فحسب، إلاّ أنّه عند التطبيق والعمل لا يوجد فيهم أقلّ علامة من الإيمان أو الإسلام.

الخلاصة

١. الإيمان هو أهم عامل من عوامل وحدة المجتمع الإسلامي.

٢. الإسلام ربّما كان عن دوافع متعدّدة ومختلفة بما فيها الدوافع الماديّة والمنافع الشخصية، إلاّ أنّ الإيمان ينطلق من دافع معنوي.

٣. أن شرط قبول أعمال الإنسان هو الإيمان، ولازمه الإيمان القلبي بالله ورسوله(ص)والإطاعة العملية للأوامر الإلهية.

٤. الآية الخامسة عشرة من سورة الحجرات تعرف المؤمنين الحقيقيين وتذكر صفاتهم.

بسمه تعالی

التفسير التمهيدی

(الدرس ١٦)

کارشناسی

المقدمة

هدف هذا الدرس هو إكمال النقاط المتعلقة بتفسير الآية الخامسة عشرة من سورة الحجرات، سنذكر ثمان نقاط ونشير إلى خمسة دروس وعبر مستخلصة منها، كما سنتعرف على تفسير مختصر للآية السادسة عشرة والتي تنذر مدعي الإيمان؛ لأن الله مطلع وعارف بكل شيء، حيث نشير إلى بعض النقاط المهمة فيها، كما سنتعرف على تفسير مختصر للآية السابعة عشرة من هذه السورة والتي تتحدث عن منة بعض الأشخاص على النبي (ص)في دخولهم للإسلام حيث سنتطرق إلى شرح بعض المفردات ونذكر شأن النزول والنقاط والدروس والعبر المستلهمة من الآية الكريمة.

محتوا:

تتمة الملاحظات المتعلقة بتفسير الآية الخامسة عشرة

٤. قد يكون الشك ابتدائياً الذي يكون دافعه حس التحقيق، وهذا النوع من الشك يظهر عند الشباب والباحثين، وهو مقدس ومطلوب؛ لأنه يكون سبباً في البحث، ويخلص الإنسان من الشك ويهديه إلى حقائق الوجود، وأمَّا الشك الذي يؤدي إلى عدم الثبات ويمنع الإنسان من سلوك طريق الحق فهو مذموم وهذه الآية أشارة إلى النوع الثاني.

٥. كلمة «أموال» في الأصل تعني الشيء الذي يميل له الإنسان. وتقال لرأس المال المادي والمعنوي أموال.

٦. في الآية الكريمة قدم الإيثار بالمال على الإيثار بالنفس؛ لأن الشخص إذا لم يتخلى عن المال لا يستطيع التضحية بالنفس، ومحاربة النفس خاصة بأفراد معينين لهم قدرة بدنية، ولكن الجهاد بالمال فإنه يشمل أكثر الناس.

٧. في الآية إشارة إلى أن كل نوع من الإيثار بالنفس أو المال هو أمر مستحسن ومطلوب؛ بل أن الجهاد بالنفس والمال من علامات المؤمن السائر في طريق الله، نعم فقيمة العمل تكتسب الأهمية عن طريق ارتباطها بالله تعالى.

٨. في الآية إشارة إلى أن المؤمنين الصادقين هم أولئك الذين تتطابق أعمالهم مع أقوالهم فهم المؤمنون الحقيقيون.

دروس وعبر

١. المؤمنون الحقيقيون هم أصحاب العقيدة والعمل: "...آمَنُوا... وَجَاهَدُوا...".

٢. المؤمن هو ذلك الشخص يكون إيمانه راسخ؛ بخلاف الأشخاص المترددين فهم ليسوا مؤمنين حقيقيين: "... ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا...".

٣. الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله تعالى من علامات المؤمنين، وأمَّا أولئك المنهزمون في الحرب فهم ليسوا مؤمنين حقيقيين: "...وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...".

٤. قيمة العمل مرتبطة بالنية الإلهية: "...فِي سَبِيلِ اللَّهِ...".

٥. عمل المؤمنين هو ذلك العمل الذي يكون في سبيل الله تعالى: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ... فِي سَبِيلِ اللَّهِ...".

الآية السادسة عشرة من سورة الحجرات

القرآن الكريم في الآية السادسة عشرة من سورة الحجرات يشير إلى الذين يدعوا الإيمان وينذرهم؛ لأن الله مطلع وعارف بكل شيء، فيقول: "قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"[١].

توضيح

تحدثت الآيات السابقة عن الفرق بين الإيمان والإسلام وعلامات المؤمنين الصادقين، وهذه الآية تنذر مدعي الدين فتول لهم: « قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ...»، وفي الختام تؤكد الآية على علم الله الأزلي الأبدي اللامحدود.

شأن النزول

قال جماعة من المفسّرين إنّه بعد نزول ما تقدّم من الآيات آنفاً جاء النّبي طائفةٌ من الأعراب وحلفوا أنّهم صادقون في إدّعائهم بأنّهم المؤمنون وظاهرهم وباطنهم سواء،

---

١. الحجرات، ١٦.

فنزلت هذه الآية وأنذرتهم أن لا يحلفوا، فالله يعرف باطنهم وظاهرهم، ولا يخفى عليه خافية في السماوات ولا في الأرض[١].

ملاحظات

١. إنّ هذه الآيات تنذر مدعي الإيمان أن «الإيمان» مسألة قلبية، والله تعالى أعلم من كل شخص به، فالآية تريد أن تبطل هذه الإدعاءات الكاذبة.

٢. العلم نوعان:

أ. حصولي: والحصولي هو ما يحدث من انعكاس صورة الشيء في العقل، وهذا النوع محدود وقابل للخطأ.

ب. حضوري: وأمَّا العلم الحضوري، فإن المعلوم يكون حاضراً عند العالم؛ كعلمنا بجوعنا، وعلمنا بالصور الذهنية في أذهاننا. ولا خطأ في هذا النوع من العلم؛ لأن المعلوم بنفسه يكون حاضراً عند العالم، ولا تكون الصور الذهنية واسطة في حصول العلم حتى يحصل الخطأ.

وعلم الله تبارك وتعالى من النوع الثاني، إذن جميع الموجودات ـ أعم من السموات والأرض وما بينهما ـ تكون حاضرةً عند الله تعالى ولا يخفى عليه شيء فلا خطأ في علمه إطلاقاً. فهو حاضر في كل مكان وأقرب إلينا من حبل الوريد ويعرف الصادقين من الكاذبين.

دروس وعبر

١. الله تعالى عليم ومحيط بكل شيء علما، فلا ينبغي إدعاء التدين بلا دليل: "...أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ...".

٢. لا حد لعلم الله تبارك وتعالى، فلا يمكن أن يخفى عليه شيء: "...وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ".

---

٢. أنظر: مجمع البيان، الميزان، روح البيان، القرطبي والأمثل.

الآية السابعة عشرة من سورة الحجرات

القرآن الكريم في الآية السابعة عشرة من سورة الحجرات يشير إلى منة بعض الأشخاص على النبي(ص)، ويذكر بأن الله تعالى هو الذي يمن عليهم بأن هداهم إلى الإسلام فيقول: "يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"[1].

توضيح

تعرضت الآية السابقة إلى بعض كلام بني أسد، وهذه الآية تتحدث عن منة أولئك الغير مبررة في دخولهم الإسلام، فتخاطب النبي(ص)قائلةً: «...يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم...»، وفي مقام الجواب لهؤلاء تُذَكِّر الآية بالهداية إلى نعمة الإيمان، وأن المنَّة هي من حق الله تعالى فتقول:"...بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ».

المفردات

المنَّة: من مادة «المن» ومعناه الوزن الخاص الذي يوزن به، ثمّ استُعمل هذا اللفظ على كلّ نعمة غالية وثمينة.

ملاحظات

١. كما ورد في الآية الرابعة عشرة من هذه السورة أن جماعة من «بني أسد» وردوا المدينة في بعض سني الجدب والقحط وأظهروا الشهادتين على ألسنتهم أملاً في الحصول على المساعدة من النّبي(ص)وقالوا للرسول أنّ قبائل العرب ركبت الخيول وحاربتكم إلاّ أنّنا جئناك بأطفالنا ونسائنا دون أن نحاربك، وأرادوا أن يمنّوا على النّبي عن هذا الطريق!، فالله سبحانه وتعالى يجيب هؤلاء على منتهم في دخولهم الإسلام.

---

٣. الحجرات، ١٧.

٢. المنّة على نوعين: فإذا كان فيها جانب عملي كإعطاء النعمة والهبة فهي ممدوحة، ومنن الله من هذا القبيل، وإذا كان فيها جانب لفظي، كمنّ كثير من الناس بالقول بعد العمل، فهي قبيحة وغير محبوبة! [١].

٣. إن منة بني أسد على النبي(ص)في دخولهم الإسلام دليل على أنّهم غير صادقين في إيمانهم، بل تدل على ظاهر إسلامهم.

٤. مما يجدر ذكره أن يتصوّر قاصرو التفكير غالباً أنّهم بقبول الإيمان وأداء العبادات والطاعات يقدّمون خدمةً لساحة قدس الله أو للنبي(ص)وأوصيائه، ولذلك فهم ينتظرون الثواب والأجر.

في حين أنّه لو أشرق نور الإيمان في قلب أحد، ونال هذا التوفيق بأن كان في زمرة المؤمنين، فقد شمله لطف عظيم من الله عزَّ وجلّ.

٥. في أكثر من مورد في القرآن الكريم نجد أن الله تعالى يمن على الناس بنعم منها؛ نعمة الإيمان ونعمة الأنبياء[٢]، ونعمة الإمامة[٣]، وهذه المنَّة لها أهمية كونها تشير إلى نعم الله تعالى.

دروس وعبر

١. الهداية إلى الإيمان نعمة إلهية تستحق الشكر: "... أنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ...".

٢. أن لا يمن على النبي(ص)بدخول الإسلام؛ بل لطف الله هو الذي هداهم: "...لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم...".

٣. نحن المدينون إلى الله تعالى في أن هدانا، وهو المتفضل علينا: "...بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ...".

٤. إذا كان الشخص من أهل الصدق فلا ينبغي عليه أن يمن؛ لأن الله عالم بكل شيء: "...إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ".

---

٤. تفسير الأمثل، ج ١٦، ص.٥٧٤

٥. "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ...". (آل عمرا، ص١٦٤).

٦. " وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ" (القصص، ٥).

الخلاصة

١. ليس كل شك وتردد يكون غير مطلوب بل قد يكون الشك دافعه البحث والاستكشاف.

٢. المؤمنون الصادقون هم أولئك الذين تتطابق أعمالهم مع أقولهم فهم المؤمنون الحقيقيون.

٣. الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله تعالى من علامات المؤمنين، وأمّا أولئك المنهزمون في الحرب فهم ليسوا مؤمنين حقيقيين.

٤. جميع الموجودات ـ أعم من السموات والأرض وما بينهما ـ تكون حاضرةً عند الله تعالى ولا يخفى عليه شيء فلا خطأ في علمه إطلاقاً. فهو حاضر في كل مكان وأقرب إلينا من حبل الوريد ويعرف الصادقين من الكاذبين.

٥. إن منة البعض على النبي(ص)في دخولهم الإسلام دليل على أنّهم غير صادقين في إيمانهم، بل تدل على ظاهر إسلامهم.

٦. لا ينبغي للمسلمين أن يمنوا بإسلامهم ؛ لأن الإسلام هو هدية إلهية يلزمها الشكر.

بسمه تعالی

التفسیر التمهیدی

(الدرس ١٧)

کارشناسی

المقدمة

هدف هذا الدرس هو التعرف على تفسير مختصر للآية الأخيرة من سورة الحجرات وهي الآية الثامنة عشرة سنذكر ملاحظتين ونعرض إلى الدروس والعبر والمستخلصة منها، وسنبدأ بعونه تعالى بتفسير سورة الجمعة حيث سنتعرف على أهداف الأنبياء(ع)والوظائف الاجتماعية للمسلمين، ومضامين السورة على مستوى العقائد والأخلاق والأحكام والقصة.

الآية الثامنة عشرة من سورة الحجرات

القرآن الكريم في آخر آية من آيات سورة الحجرات يشير إلى علم الله تعالى بالغيب فيقول: "إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"[١].

توضيح

أشير في الآيات السابقة إلى علم الله اللامتناهي، وفي هذه الآية تأكيد آخر على علم الله بالغيب فتقول: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...»، وفي ختام الآية إنذار بأنَّ «...اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ».

ملاحظات

١. كلمة الغيب تعني ما غاب عن الحس، والمقصود بها هنا أنه لا يخفى شيء على الله تعالى.

٢. الله تعالى عالم بالسر والعلانية؛ وأمَّا في هذه الآية فتأكيد على علم الله بغيب السموات والأرض فلا تصرّوا على أنّكم مؤمنون حتماً ولا حاجة للقسم.. فهو حاضر في أعماق قلوبكم، وهو عليم بما يجري في غيب السماوات والأرض جميعاً، فكيف لا يعلم ما في قلوبكم وما تنطوي عليه صدروكم.

---

١. الحجرات، ١٨.

دروس وعبر

١. عدم محدودية العلم الإلهي: "...يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...".
٢. الله مطلع على الأعمال في السر والعلانية، فينبغي، نراقب أعمالنا: وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ".

تفسير سورة الجمعة

الأهداف

١. التعرف على تفسير مختصر لسورة الجمعة والدروس المستخلصة منها.
٢. معرفة أهداف الأنبياء، روحيات اليهود والوظائف الاجتماعية للمسلمين المتعلقة بصلاة الجمعة.

خصائص سورة الجمعة

أهداف الأنبياء والوظائف الاجتماعية للمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

كليات

سورة الجمعة مدنية و آياتها إحدى عشرة، وهي مائة وثمانون كلمة، وسبعمائة وعشرون حرفاً. وهي السورة الثامنة بعدة المائة من سور القرآن بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة «التحريم» وقبل سورة «التغابن»، والاسم الوحيد لهذه السورة هو الجمعة، وهو مأخوذ من الآية التاسعة منها التي تبين فيها أهمية وعظمة صلاة الجمعة.

خصيصتها: في هذه السورة أمر للمسلمين في إقامة صلاة الجمعة.

أهدافها

الأهداف الأساسية لسورة الجمعة هي:
١. بيان أهداف بعثة النبي(ص).

٢. بيان الأمر إقامة صلاة الجمعة وإيجاد النظام السياسي، والاجتماعي والعبادي لرفع مستوى الوعي عند المسلمين.

مضامين السورة

إن أهم مضامين هذه السورة تكمن في عدة مستويات هي:

١) على مستوى العقائد: وفي هذا المستوى يلفت انتباهنا موضوعان:

الأول: تسبيح مطلق الموجودات ووصف الله تعالى (آية ١).

الثاني: توضيح الهدف من بعثة النبي(ص) (آية ٢).

٢) على مستوى الأخلاق: إن التأمل في آيات السورة يرشدنا إلى موضوعين أخلاقيين:

الأول: طرح موضوع التزكية واعتباره هدف لبعثة النبي(ص).

الثاني: توبيخ الأشخاص الذين يقرؤون الكتب السماوية ولا يعملون بها (آية ٥).

٣) على مستوى الأحكام: الأمر المهم بإقامة صلاة الجمعة والكف عن الاكتساب، والعمل للمشاركة فيها (الآيات ٩ـ ١١).

٤) على مستوى القصة: الإشارة إلى اليهود الذين لا يعملون بالتوراة (الآيات ٥ ـ ٦).

٥) على مستوى قضايا فرعية: بالإضافة إلى ما ذكر يمكن الإشارة إلى عدة نقاط هي:

الأولى: الإشارة إلى أمية نبي الإسلام(ص).

الثانية: إنذار الأشخاص الذين لا يعملون بالكتب السماوية (آية ٥).

الثالثة: بيان قانون الموت العام، والذي هو نافذة إلى عالم البقاء (آية ٨).

تفسير سورة الجمعة

مقدمة

القرآن الكريم في الآية الأولى من سورة الجمعة يشير إلى أربع صفات إلهية حسنة، وتسبيح الموجودات لله تعالى، فيقول: "يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ"[١].

توضيح

تبدأ هذه السورة بالتسبيح لله عز وجل، وتشير إلى بعض صفات الجمال والجلال والأسماء الحسنى لله، وتشير إلى صفتين مقدستين، فتشير في الآية الأولى إلى تسبيح الموجودات لله، ومن ثم تذكر أربع صفات من صفات الله سبحانه وتعالى، فتقول: « يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ».

المفردات

١. **يسبح:** السبح: المر السريع في الماء، وفي الهواء، وأصله: المر السريع في عبادة الله تعالى[٢]، والمقصود به هنا تنزيه الله تعالى من كل عيب أو نقص.

٢. **السموات:** وأصله السُّمُوُّ الارْتِفاعُ والعُلُوُّ،يقال لكلّ ما ارتَفع وعَلا قَدْ سَما يَسْمُو وكلُّ سقفٍ فهو سَماءٌ [٣]، وتطلق السماء أيضاً على طبقات جو السماء والكرات السماوية[٤].

٣. **القدوس:** التقديس: التطهير الإلهي، دون التطهير الذي هو إزالة النجاسة المحسوسة، أي الطهارة المعنوية [٥].

٤. **العزيز:** مفردتي «العزيز» و«القدير» كلاهما بمعنى القدرة؛ غير أن «العزيز» هو القوي الذي لا يقهر، وأمّا القدير فيعني إيجاد أسباب ووسائل إعمال القدرة.

---

٢. الجمعة، ١.

٣. مفردات الراغب الأصفهاني، مادة سبح.

٤. أنظر: نفس المصدر، مادة سمو؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٩، ص.٢١٩

٥. أنظر: الأمثل، ج١، ص ١١٣.

٦. مفردات الراغب الأصفهاني، مادة قدس، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٩، ٢١١.

الملاحظات

٢. ما هو المقصود من تسبيح جميع الموجودات في السموات والأرض؟ وفيما يتعلق بهذه المسألة ثمَّة أراء متعددة عند العلماء والمفسرين:

أ) المقصود من تسبيح جميع الموجودات هو التسبيح بالألفاظ، وهذا يعني أن جميع الموجودات لها شعور، تحمد الله وتسبحه بألسنتها، وتنزهه عن كل عيب ونقص، فهي متناسبة مع عالمها وإن كنا لا نسمعها.

ب) المقصود من تسبيح الموجودات هو لسان حالها، يعني أنها تسبحه بصورة حقيقية وليست مجازية. تسبحه وتحمده وهذا لسان حالها، وتنزيه الله تعالى عن العيوب ليس بالألفاظ فقط، بل كل نظام الكون يقول لنا إن الخالق مبرأ من كل عيب ونقص، فالحمد ليس تسبيحاً لله فقط وبيان صفات كماله، بل الحمد هو بيان صفات الكمال والعلم والقدرة، وهذا هو لسان حال الكون.

ج) المقصود من تسبيح الموجودات هو مركب من لسان «الحال»، و«المقال»، و«التكوين»، و«التشريع»، يعني أن الموجودات كالأنسان تسبح باللسان وألفاظ التسبيح، وجميع ذرات الكون وبلسان حالها تتكلم، إذن كل موجود يشهد على تنزيه وحمد الله تعالى.

٢. نقل عن النبي(ص)أنه قال: «...أن الثوب يسبح فإذا اتسخ انقطع تسبيحه»[١].

وعن أبي الصباح أنه سأل الإمام الصادق(ع):قال: قلت: قول الله: " وان من شئ الا يسبح بحمده " قال(ع): «كل شئ يسبح بحمده، وانا لنرى أن ينقض الجدار هو تسبيحها»[٢].

والظاهر أن المقصود من التسبيح في هذه الأحاديث هو بيان التسبيح التكويني بلسان الحال؛ لأنّ لكلّ موجود نظاماً دقيقاً جدّاً. وهذا النظام الدقيق يحكي عن طهارة ونزاهة وقدرة الله وحكمته.

٣. كلمة مالك تشمل القدرة بمعنى المالكية والحاكمية المطلقة [٣].

---

٧. الميزان وتفسير الأمثل نقلاً عن أبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء

٨. نور الثقلين، ج٣، ص١٦٨،

٩. مفردات الراغب الأصفهاني، مادة ملك.

مالكية الله في ذلك اليوم دون شك ليست ملكية اعتبارية، نظير ملكيتنا للأشيآء في هذا العالم. ملكيتنا هذه عقد يبرم بموجب تعامل ووثائق، وينفسخ بموجب تعامل آخر ووثائق أُخرى. لكن ملكية الله لعالم الكون ملكية حقيقية، مالكية الله نتيجة خالقيته وربوبيته. فالذي خلق الموجودات ورعاها وربّاها، وأفاض عليها الوجود لحظة بلحظة، هو المالك الحقيقي للموجودات.

٤. كلمة «الحكمة» في الأصل: منع منعا لإصلاح، والحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات[1].

دروس وعبر

١. جميع الموجودات تسبح الله، إذن يجب علنا أن نلتحق ولا نتخلف عن قافلة العشق: "يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ...".

٢. ملكية الله مصاحبة للطهارة، وقدرته مصاحبة للحكمة، وعليه ينبغي أن نكون كذلك: "...الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ".

الخلاصة

١. كلمة الغيب تعني ما غاب عن الحس، والمقصود بها هنا أنه لا يخفى شيء على الله تعالى.

٢. الله مطلع على الأعمال في السر والعلانية، فينبغي، نراقب أعمالنا: وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ".

٣. أهداف سورة الجمعة هي. بيان أهداف بعثة النبي(ص) وبيان الأمر بإقامة صلاة الجمعة وإيجاد النظام السياسي، والاجتماعي والعبادي لرفع مستوى الوعي عند المسلمين.

٤. جميع الموجودات تسبح الله، إذن يجب علنا أن نلتحق ولا نتخلف عن هذه القافلة.

---

١٠. نفس المصدر.

بسمه تعالی

التفسير التمهيدی

(الدرس ۱۸)

کارشناسی

المقدمة

هدف هذا الدرس هو التعرف على تفسير مختصر للآيات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة فهذه الآيات تشير إلى مسألة إرساله الرسل فتقول: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ...»، ثم تذكر أهداف بعثة الأنبياء، فتقول: «... يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ...».

ومن ثم تقول الآية:« وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ...». والآية اللاحقة تشير إلى نعمة النبوة فتقول: « ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

ثم يشير القرآن الكريم في الآية الخامسة من هذه السورة إلى كتاب التوراة والتعامل الغير اللائق لعلماء اليهود معه، فيخاطبهم موبخاً بقوله:« مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ...»، ثم يشير إلى عدم أدائهم هذه الواجبات، فيقول:«... ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا...» وفي ختام الآية يشير إلى أن الله لا يهدي الظالمين فيقول: « أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ...».

وسنتعرف في هذا الدرس على معاني بعض المفردات، ونذكر النقاط المهمة المتعلقة بالآيات والدروس والعبر المستخلصة منها.

محتوا:

سوره جمعه

تفسير مختصر للآيات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة

"هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ"[١].

---

١. الجمعة، ٢، ٤.

المفردات

١. الأميين: الأم بإزاء الأب، وهي الوالدة القريبة التي ولدته، والبعيدة التي ولدت من ولدته. والأمي هو الذي لا يعرف القراءة والكتابة (ونسبته إلى الام باعتبار أنه لم يتلق تعليما في معهد أو مدرسة غير مدرسة الام). ويقال للنبي(ص) أمي لأنه منسوب لـ " أمة العرب " أو نسبة لـ(أم القرى)[١].

٢. يتلو: والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة، تارة بالقراءة، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي، وترغيب وترهيب. أو ما يتوهم فيه ذلك، وهو أخص من القراءة فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة[٢].

٣. يزكيهم: من مادة «زكو» أي ازداد ونما[٣]؛ وعلى هذا تكون تزكية النفس بمعنى تنميتها بالأعمال الحسنة وتطهيرها من الذنوب.

٤. الفضل: الزيادة عن الاقتصاد[٤].

ملاحظات

١. مفردة «أميين» تشير إلى أن نبي الإسلام بعث من بين هؤلاء الأميين الذين لم يتلقوا ثقافة وتعليما وذلك لبيان عظمة الرسالة وذكر الدليل على حقانيتها وإعجاز القرآن، لأن من المحال أن يكون هذا القرآن العظيم وبذلك المحتوى العميق وليد فكر بشري.

٢. الأهداف من بعثة النبي(ص)المذكرة في الآيات هي:

ألف) تلاوة آيات الله؛ فتلاوة آيات الله وإتباعها عملياً يشكل قدوة للمجتمع.

ب) التزكية: وهي تطهير وتنمية أفراد المجتمع، تهذيب الأفراد من الملوثات الأخلاقية والروحية وهي تمهد الأرضية لنمو الجميع بكل وجودهم.

ج) القرآن هو الكتاب الذي يتضمن الدساتير الأساسية للدين.

د) تعليم الحكمة: اطلاع الناس على السنة أو الأدلة العقلية.

---

٢. أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة أم.

٣. أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة تلاه.

٤. أنظر: نفس المصدر، مادة زكا؛ التحقيق في كلمات القرآن، كتاب العين، لسان العرب، مادة زكو.

٥. أنظر: نفس المصدر، مادة فضل.

٣. إن الحكمة تعني المنع بقصد الإصلاح، ولهذا يقال للجام الفرس " حكمة " لأنه يمنعها ويجعلها تسير في مسارها الصحيح، وبناء على ذلك فإن مفهوم هذه الدلائل عقلي.

٤. بينت الآيات صفتين للناس كانتا قبل الإسلام:

ألف) الأمية:

فلم يتجاوز عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة من العرب سبعة عشر شخصاً، وأما البقية فقد كانوا أميين.

ب) الظلال المبين:

إشارة مختصرة معبرة إلى سابقة العرب وماضيهم الجاهلي في عبادة الأصنام التي كانوا يصنعونها بأنفسهم ويلجئون إليها لحل مشاكلهم وإنقاذهم من المعضلات. يدفنون بناتهم وهن أحياء؛ ومن هنا فقد كان ضلالهم واضحاً لكل شخص؛ وأما الإسلام فقد أنقذهم من الضلال وهداهم إلى نور العلم والحضارة.

٥. أشارت الآيات إلى أن دعوة النبي تشمل زمانه والأقوام اللاحقة، فلم يكن الرسول مبعوثا لهذا المجتمع الأمي فقط، بل كانت دعوته عامة لجميع الناس.

بناء على ذلك تكون الآية أعلاه شاملة لجميع الأقوام الذين يأتون بعد أصحاب الرسول من العرب والعجم.

جاء في الحديث أن الرسول بعد أن تلا هذه الآية سئل من هؤلاء ؟ فأشار الرسول إلى سلمان وقال: "لو كان الإيمان في الثريا لنالته رجال من هؤلاء "[١].

---

٦. أنظر: مجمع البيان؛ الدر المنثور؛ الكشاف؛ القرطبي؛ المراغي، في ظلال القرآن، الميزان؛ الأمثل، ذيل الآية.

٦. في هذه الآية إشارة إلى أن النبوة هي فضيلة ونعمة إلهية يعطيها الله لمن يكون لائقا بها. وهكذا الحال في النبوة وتعاليم النبي(ص)فقد كانت نعمة للأمة[١].

٧. إن تعبير « ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»، لا يعني أن الله ينزل رحمته وبركاته بدون حساب وبلا سبب، بل إن المشيئة هنا مرادفة للحكمة والمصلحة.

دروس وعبر

١. قد تقتضي مشيئة الله أن يصنع من فرد أمي قائداً "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً...".

٢. رسالة النبي (ص)غير محصورة بعصره؛ بل هي شاملة لمن يأتون بعده: "...وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا...".

٣. التعليم والتربية من أهداف النبوة"... يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ...".

٤. التعليم لا ينفصل عن التهذيب: "... يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ...".

٥. علموا الكتاب مقترناً بالحكمة وكذلك الوحي مع العقل "...يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...".

٦. القادة الإلهيين يتلون آيات الله على الناس، ويطبقونها حتى يكونون قدوة عملية لهم: "...يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ...".

٧. التعليم والتزكية ينجيان الإنسان من الضلال المبين: "...وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ".

٨. النبوة ليست كما يرغب الناس؛ بل هي فضل ونعمة إلهية تكون وفقاً للحكمة، يهبها الله لمن يشاء: "ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء...".

---

٧. «ذلك» يمكن أن يكون إشارة إلى أصل نبوة النبي@أو قيادته تكون فضلاً إلهياً للناس. (تفسير الأمثل، ج١٨، ص٣٢١).

أخلاقيات اليهود

قانون الموت العام وعوامل الخوف منه

الآية الخامسة من سورة الجمعة

القرآن الكريم في الآية الخامسة من سورة الجمعة يضرب مثالاً لتوبيخ علماء اليهود، والعلماء الذين لا يعملون، فيقول: " مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"[١].

المفردات

١. **التوراة:** أصل هذه المفردة عبراني وهي تعني القانون، الشريعة، والتعليم. والتوراة هي أسم كتاب موسى(ع)وقد بينت فيها الكثير من القوانين، وتشتمل على خمسة أقسام هي«التكوين، التثنية، اللاوين، الأعداد، والخروج»[٢]، ويعتقد البعض أنها من مادّة «ورى» على وزن (نفى) بمعنى الستر، ويقال للنار التي تكون مخفية في الوسائل التي لها القابلية على الإشتعال والتي تظهر بشرارة «ورى»[٣].

٢. **الأسفار:** جمع سفر وهو في الأصل بمعنى كشف الغطاء عن الحقائق، أو الخروج من المحيط، ويقال للكتاب السماوي «سفر»؛ لأنه يسفر عن الحقائق، ويخرج الإنسان من المحيط المادي إلى المحيط المعنوي[٤]، وقد أطلقت هذه المفردة على الأسفار الأصلية الخمسة للتوراة.

٣. **آيات:** جمع «آية» بمعنى العلامة الواضحة والملازمة للشيء[٥]. وهي تطلق على الأقسام المنفصلة في السور القرآنية.

---

٨. الجمعة، ٥.

٩. أنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم؛ مادة توراة؛ وحسين توفيقي، نگاهى به اديان زنده جهان (نظرة إلى اديان العالم الحية)، ص٩٦«

١٠. أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة توراة.

١١. أنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٥، ص١٣٧ ـ ١٣٩.

١٢. المفردات، مادة أي.

ملاحظات

١. جاء في بعض الروايات أن اليهود قالوا: (إذا كان محمد قد بعث برسالة فإن رسالته لا تشملنا) فردت عليهم الآية مورد البحث في أول بيان لها بأن رسالته قد أشير إليها في كتابكم السماوي لو أنكم قرأتموه وعملتم به[1]؛ ولكنكم كذبتم بآيات الله.

٢. بينت الآية مثالاً لتوبيخ اليهود؛ فهؤلاء الذين كانت التوراة بين أيديهم، قد اقتنع هؤلاء القوم بتلاوة التوراة واكتفوا بذلك دون أن يعملوا بموجبها. هؤلاء مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل كتباً على ظهره، ولا يستفيد من محتواها.

٣. الآية تحذر جميع العلماء الذين لا يعملون فإنهم إذا لم ينتبهوا فإن التوبيخ الذي صدر بحق اليهود سيشملهم؛ أي عليهم أن يستفيدوا من نعمة نبي الإسلام(ص) والقرآن والعلوم المختلفة، ويحملوا مسئولية العلم الملقاة على عواتقهم، فعليهم الاستفادة من بركات القرآن وعلومه ويعملوا بها حتى يصلوا إلى السعادة؛ ولكنهم إذا اكتفوا بوضع القرآن على الرفوف في المنازل، ولم ينتفعوا من محتواه الفردي والاجتماعي، أو لم يعملوا بعلومه، فهم يكونون كالحمار الذي يحمل أسفاراً.

الخلاصة

١. يقال للنبي(ص) أمي لأنه منسوب لـ " أمة العرب " أو نسبة لـ(أم القرى).

٢. التلاوة أخص من القراءة فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة.

٣. أشارت الآيات إلى أن دعوة النبي تشمل زمانه والأقوام اللاحقة، فلم يكن الرسول مبعوثا لهذا المجتمع الأمي فقط، بل كانت دعوته عامة لجميع الناس.

٤. الآية الخامسة من سورة الجمعة تحذر جميع العلماء الذين لا يعملون فإنهم إذا لم ينتبهوا فإن التوبيخ الذي صدر بحق اليهود سيشملهم؛ أي عليهم أن يستفيدوا من نعمة نبي الإسلام(ص) والقرآن والعلوم المختلفة.

٥. يقال للكتاب السماوي «سفر»؛ لأنه يسفر عن الحقائق، ويخرج الإنسان من المحيط المادي إلى المحيط المعنوي.

---

١٣. أنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٥، ص١٣٧ ـ ١٣٩.

بسمه تعالى

التفسير التمهيدی

(الدرس ۱۹)

کارشناسی

المقدمة

الهدف من هذا الدرس هو التعرف على بعض النقاط المهمة في تفسير الآية الخامسة من سورة الجمعة ونشير إلى الدروس والعبر المستخلصة منها، وسنتعرض إلى تفسير مختصر للآيات السادسة والسابعة والثامنة من هذه السورة تتعرض الآية السادسة إلى إدعاءات اليهود في مسألة حب الله وامتحان الله لهم فتقول: «قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ».

والآية التالية تشير إلى علت الفرار من الموت وفشل اليهود في الامتحان الإلهي واتضاح كذبهم فتقول:« وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ».

والآية الثالثة تشير إلى حتمية الموت فتقول: «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ».

محتوا

إكمال تفسير الآية الخامسة

٤. في رواية عن الرسول(ص)أنه قال: «من ازداد علماً ولم يزدد هدىً لم يزدد من الله إلا بعداً »[١].

وعن أمير المؤمنين علي(ع)أنه قال: « العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل عنه»[٢].

٥. وثمَّة سؤال يطرح في هذا المجال وهو أن تمثيل العالم الذي لا يعمل بالحمار ألا يكون إهانة لذلك الحيوان؟ وهل من الصحيح أن نلوم الحمار ونوبخه؛ لأنه لا يدرك أو يفهم؟

والجواب على هذا السؤال أن كل موجود في سلسلة موجودات العالم، له مرتبة في مكانته الحسنة، فالإنسان في مرتبة الإنسانية والحمار في مرتبته له الاستعدادات والوظائف الخاصة به، والتي لا يرغب بأكثر منها وإذا عمل بوظائفه بالشكل اللائق بحاله فإنه لا يعاتب؛ غير أن الموجود وعلى سبيل المثال الإنسان إذا لم يستفد من

١. المحجة البيضاء، ج ١، ص ١٢٥، ١٢٦.

٢. نفس المصدر.

استعداداته اللائقة به أو لم يعمل بوظائفه فإن يهبط إلى مرتبة أدنى (مساوية لمرتبة الحيوانات)وعندها يستحق اللوم والعتاب.

ومن هنا يتضح أن تشبيه الإنسان بالحمار يعد توبيخاً للإنسانية وأنه تنزل من مرتبته، وليس تحقيراً للحمار في مرتبته، بعبارة أخرى الحمارية هي أمر ذاتي له وهي ليست سيئةً بحق الحمار؛ ولكن الإنسان إذا صار حماراً فإنه يستحق التوبيخ.

٦. بما أن الآيات ومواقف الأنبياء لم تنسجم مع رغبات وهوى اليهود فقد كذبوهم[١]، وهكذا الحال في نبي الإسلام(ص)فبعد أن بشرت به التوراة أنكره اليهود. نعم فهؤلاء لم يعملوا بعلمهم وتوراتهم وتركوا الآيات الإلهية وصاروا ظالمين؛ وهذا يعني أنهم ظلموا أنفسهم؛ لأنهم منعوا السعادة لأنفسهم وكذلك لظلمهم للناس؛ لأنهم خلطوا الحق بالباطل وقد اتبعهم بعض الأشخاص فضلوا.

٧. ثمَّة قانون كلي في هذه الآية وهي أن الظالمين لا يهتدون. نعم فالأشخاص الذين يظلمون أنفسهم ويظلمون الناس فإنهم لا يكونون مستعدين للهداية، ولا يستفيدون من النور الإلهي أو يصلون إلى السعادة.

دروس وعبر

١. العلماء بلا عمل كالحمار الذي يحمل الكتب على ظهره: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا...".

٢. كل شخص يصله نور الوحي ولا يستفيد منه، فإنه يسقط في المرحلة الحيوانية: "...كَمَثَلِ الْحِمَارِ...".

٣. إن عدم الاهتمام بمحتوى ومضمون الكتاب السماوي والتكذيب بآياته يعد ظلماً للنفس وظلماً للآخرين: "... الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ... الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ".

٤. الظلم مانع من هداية الإنسان: "...وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ".

٥. كونوا عاملين بما يقوله الوحي.

---

٣. أنظر: سورة البقرة.

تفسير الآيات السادسة والسابعة والثامنة

القرآن الكريم في الآيات السادسة إلى الثامنة من سورة الجمعة يشير إلى العلاقة بين حب الله وأعمال الإنسان وتمني اليهود الموت، وفرارهم منه، وحتميته، فيقول: "قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ"[١].

المفردات

١. **هادوا**: مشتق من «الهود» وهو: الرجوع برفق، فأمَّا اليَهود فمِن هاد يَهُودُ، إذا تاب هَوْداً. وسُمُّوا به لأنَّهم تابُوا عن عبادة العجل[٢].

٢. **أولياء**: جمع ولي، وهو وقوع شيء وراء شيء مع رابطة[٣]. فيكون المعنى الموالي والمحب، والمراد هنا المعنى الثاني.

٣. **الغيب**: واستعمل في كل غائب عن الحاسة، وعما يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب[٤]، ويستعمل في قبال الشهادة. والمقصود من «عالم الغيب والشهادة» معرفة الله واطلاعه على الأمور المستورة.

ملاحظات

١. يزعم اليهود أنهم أحباء الله، ولكن القرآن شجب هذا التعالي مرة أخرى بقوله «قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ».

---

٤. الجمعة، ٦، ٨.

٥. أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة هود؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١١، ص٢٩٣؛ معجم مقاييس اللغة؛ كتاب العين؛ لسان العرب، مادة هود.

٦. أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة ولي؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١٣، ص٢٠٣؛ معجم مقاييس اللغة؛ كتاب العين؛ لسان العرب،ج، ١٥، ٤٠٧.

٧. أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة غيب.

٢. الموت هو بوابة الإنسان إلى القيامة للقاء الله تعالى، وإذا كان الشخص محباً، فلا يخاف من الموت بل يسعى إلى حضن محبوبه.

٣. أشارة الآيات إلى عوامل خوف اليهود من الموت وهي:

ألف) بسبب أعمالهم الظالمة، فإنهم يفرون من الموت؛ وذلك لأنهم إذا غادروا هذه الحياة فسيلاقون العذاب الإلهي.

ب) هؤلاء ليسوا أحباء الله حقيقةً؛ ومن هنا فإنهم لا يشتاقون إلى الموت ولقاء الله تعالى.

٤. وللخوف من الموت عوامل أخرى هي:

ألف) عدم إيمان الإنسان بالحياة بعد الموت واعتقاده أن الموت زوال وفناء.

ب) التعلق بالدنيا، فالموت يوجب قطع علاقة الإنسان بها.

ج) قلة الأعمال الحسنة وكثرة الأعمال السيئة في صحيفة الإنسان.

أجل فإن الشخص الذي يكون مثل علي(ع)ذو عقيدة راسخة بالمعاد فإن قلبه لا يتعلق بالدنيا فلا يخاف الموت وقد قال(ع): « هيهات بعد اللتيا والتي، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه »، وقال(ع)حين الموت« فزت ورب الكعبة»[١].

د) فقد روي أن رجلا أتى رسول الله(ص)وقال: يا رسول الله، ما بالي لا أحب الموت ؟ فقال (ص): لك مال ؟ قال: نعم، قال (ص): قد قدمته؟ قال: لا. قال: فمن ثمة لا تحب الموت "[٢].

وجاء رجل آخر وسأل (أباذر) نفس السؤال فأجابه أبوذر قائلا: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب[٣].

٥. المقصود من ظلم اليهود جميع أعمالهم الخبيثة التي قاموا بها في طول التاريخ مثل(قتل الأنبياء، اقتراف المحرمات، غصب حقوق الناس وإلحاق الأذى بهم)، وما زالت أعمالهم الخبيثة مستمرة إلى يومنا هذا وخير مثال على ذلك اغتصابهم فلسطين.

٦. في هذه الآيات إشارة إلى قانون الموت الحتمي، وفرار اليهود منه، ففي اليوم الذي يلاقون به الله تعالى وباعتبار أنه مطلع على جميع أعمالهم وظلمهم فسوف يفضحهم في يوم القيامة ويحاسبون وينالون عقابهم.

---

٨. نهج البلاغة، خطبة ٥.

٩. المحجة البيضاء، ج٨، ص٢٥٨.

١٠. نفس المصدر.

دروس وعبر

١. فرار اليهود من الموت: " وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا...".

٢. اليهود ليسوا أحباء الله بل هم ظالمون: "...وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ".

٣. إدعاء حب الله يستلزم تمني الموت: "...إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ...".

٤. فعل الإنسان السيئ عامل للفرار من الموت: "...بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ...".

٥. قانون الموت الحتمي: "...فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ...".

٦. الله تعالى ينبئنا بأعمالنا في يوم القيامة، فيجب الاستعداد لذلك اليوم: "... فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ".

الخلاصه

١. أن تشبيه الإنسان بالحمار يعد توبيخاً للإنسانية وأنه تنزل من مرتبته، وليس تحقيراً للحمار في مرتبته.

٢. ثمَّة قانون كلي في الآية الخامسة وهي أن الظالمين لا يهتدون.

٣. إن عدم الاهتمام بمحتوى ومضمون الكتاب السماوي والتكذيب بآياته يعد ظلماً للنفس وظلماً للآخرين.

٤. عوامل خوف اليهود من الموت هي الظلم وعدم حب الله.

٥. في الآية إشارة قانون الموت الحتمي.

بسمه تعالی

التفسير التمهيدى

(الدرس ٢٠)

کارشناسی

المقدمة

يهدف هذا الدرس إلى عرض تفسير مختصر عن الآيتين التاسعة والعاشرة من سورة لجمعة حيث تتضمن الآيتين دعوة المسلمين إلى إقامة صلاة الجمعة وتدعوان المسلمين إلى إقامة هذه الشعيرة المهمة من شعائر المسلمين، وسنوضح بعض المفردات ونذكر النقاط بعض النقاط المتعلقة بصلاة الجمعة من حيث الأحكام الفقهية والنكات التربوية، ونشير إلى بعض الدروس والعبر المستخلصة من هاتين الآيتين.

محتوا

الآيتين التاسعة والعاشرة من سورة الجمعة

آداب صلاة الجمعة والوظائف الاجتماعية للمسلمين

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[١].

توضيح

تحدثت الآيات السابقة عن اليهود الذين لم يعملوا بالتوراة، وهاتين الآيتين تدعوان المسلمين إلى العمل بالأمر الإلهي وهو إقامة صلاة الجمعة، فتقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ...»، وتشير الآية في تتمتها إلى مقدمات صلاة الجمعة وأهميتها فتقول:«...وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ».

ومن ثمَّ تشير الآية إلى لوازم وآداب صلاة الجمعة بعد أدائها فتقول:«فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

---

١. الجمعة، ٩، ١٠.

المفردات

١. الصلاة: والصلاة ؛ قال كثير من أهل اللغة: هي الدعاء، والتبريك والتمجيد[١]، وفي الإسلام بمعنى العبادة الخاصة التي تبدأ بتكبيرة الإحرام وتنتهي بالسلام، والمشتملة على الدعاء[٢].

٢. الجمعة: الجمع: ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، وقولهم: يوم الجمعة، لاجتماع الناس للصلاة[٣].

٣. تفلحون: من مادة «فلح» والفَلاحُ الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير[٤].

ملاحظات

١. في هاتين الآيتين إشارة إلى إحدى المراسم العظيمة والمهمة في الإسلام. حيث أضفى الإسلام أهمية لثلاثة أنواع من التجمعات.

الأولى: التجمع اليومي لصلاة الجماعة.
الثانية: التجمع الأسبوعي لصلاة الجمعة.
الثالثة: التجمع السنوي لأداء مراسم الحج.

---

٢. مفردات الراغب الأصفهاني، مادة صلى.

٣. أعتبر بعض الغويين أن أصل «صلاة» سرياني«صلاوتا» ويعني العبادة المخصوصّة.(أنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٦، ٢٧٣؛ المفردات، مادة صلى.

٤. أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة جمع؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٢، ص١٠٩.

٥. أنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٩، ص١٣٢؛ لسان العرب، ج٢، ص٥٤٧.

٢. جاء في بعض الروايات أن مسلمي المدينة كانوا يتحدثون مع بعضهم – قبل هجرة الرسول إليها - أن لليهود يوما يجتمعون فيه هو (السبت) وللنصارى يوما يجتمعون فيه هو (الأحد) فلماذا لا نتخذ نحن يوما معينا نذكر الله فيه كثيرا ونشكره ؟ وانتخبوا يوما قبل السبت وكان يسمى (يوم العروبة) وذهبوا إلى (أسعد بن زرارة) - أحد وجهاء المدينة وقد صلى بهم جماعة ووعظهم وسمي ذلك اليوم بيوم الجمعة لاجتماع المسلمين به. ثم أمر (أسعد) أن يذبحوا كبشا ليصنعوا منه غداء وعشاء لجميع المسلمين الذين كان عددهم من القلة بحيث كفاهم الكبش لهاتين الوجبتين. وكانت هذه أول جمعة تقام في الإسلام.

أما أول جمعة أقامها الرسول (ص)مع أصحابه فكانت بعد وصوله إلى المدينة بأربعة أيام، وكان وصوله يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، بقي بعدها أربعة أيام في قبا فبنوا (مسجد قبا) وتحركوا بعدها إلى المدينة، وكان ذلك يوم الجمعة، ولم تكن المسافة بين قبا والمدينة طويلة (وتعتبر قبا اليوم من ضواحي المدينة).

وكان الرسول قد وصل ضاحية (بني سالم) عند أذان الجمعة فأقيمت صلاة الجمعة هناك. وهذه هي أول جمعة أقامها الرسول(ص)في الإسلام، وقد ألقى فيها خطبة كانت هي بدورها أول خطبة لرسول الله في المدينة المنورة)[١].

٣. كلمة " نودي " من مادة (نداء) وهي هنا بمعنى الأذان إذ لا نداء للصلاة غير الأذان. والمقصود به هنا الأذان لصلاة الجمعة، فعندما يرتفع الأذان لصلاة الجمعة يكون لزاما على الناس أن يتركوا مكاسبهم ومعايشهم، ويذهبوا إلى الصلاة وهي أهم ذكر لله[٢].

٤. صلاة الجمعة مثل صلاة الصبح ركعتين؛ لكنها بقنوتين، أحدهما قبل الركوع، والآخر بعد الركوع الثاني. وفيها خطبتان قبل الصلاة يتم إلقاؤهما قبل صلاة الجمعة بدل الركعتين الأخيرتين ؛ لأن صلاة الجمعة تعد بدلاً من صلاة الظهر. وعليه فإن ذكر الله تعالى الوارد في الآية يشمل صلاة الجمعة وخطبتيها والحضور في كليهما يكون لازماً؛ لأن في كليهما ذكر لله.

٥. تجب صلاة الجمعة - مع توافر الشروط اللازمة - على الرجال البالغين والأصحاء الذين لهم القدرة على حضورها والمشاركة فيها، ولا تجب على المسافرين والمسنين رغم جواز الحضور فيها للمسافر. وكذلك يمكن للنساء المشاركة في صلاة الجمعة رغم أنها غير واجبة عليهن.أقل عدد يمكن انعقاد الجمعة به هو خمسة رجال.

---

٦. أنظر: مجمع البيان، ج١٠، ص٢٨٦؛ تفسير الأمثل، ج١٨، ص.٣٣٢

٧. نفس المصدر، ص .٣٣٤

وصلاة الجمعة كصلاة الصبح يستحب أن يقرأ فيها الحمد والسورة جهرا،يجب إلقاء الخطبتين قبل الصلاة، كما يجب أن يقوم الخطيب واقفا لإلقاء الخطبة، ومن يلقي الخطبة يجب أن يكون إمام صلاة الجمعة. ويجب أن يرفع الخطيب صوته ليسمعه جميع من يحضر الصلاة ويطلع على مضمون الخطبة. وينبغي السكوت والإنصات إلى الخطيب والجلوس في مقابله.

وعندما يرتقي المنبر يبدأ بالسلام على الناس ويقف مقابلهم ويتكئ على سيف أو عصى. ويجلس على المنبر متى ينتهي الأذان. ويبدأ بخطبته بعد تمام الأذان. ويحمد الله ويثني عليه ويصلي على رسوله في بداية الخطبة الأولى.

وعليه أن يوصي الناس بتقوى الله، ويقرأ سورة من السور القصيرة، ويراعي هذا الأمر في الخطبتين. وفي الخطبة الثانية، بعد الصلاة على النبي وأئمة المسلمين، يدعو ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات.

ومن المناسب أن يناقش الخطيب في خطبته شؤون المسلمين وما يتعلق بدينهم ودنياهم مع التركيز على الأولويات. وينبغي أن ينبههم إلى مؤامرات لأعداء ويحثهم ضمن برنامج طويل أو قصير المدة[١].

٦. ورد في بعض الأحاديث التوصية بالسكينة والهدوء في الحركة نحو الصلاة اليومية؛ وأما صلاة الجمعة فبخلاف ذلك فقد وردة التوصية بسرعة الحركة حتى يدرك المصلي خطبتي الصلاة مما يوحي إلى أهمية صلاة الجمعة.

٧. لو تحلى الناس بالوعي لأدركوا أن أداء وإقامة صلاة الجمعة يكون أفضل لهم؛ لأن في صلاة الجمعة فوائد معنوية وأخلاقية، سياسية واجتماعية كثيرة في قبال المعاملات الشخصية وهي غير قابلة للمقارنة؛ وهذا يعني عدة أمور:

أولاً: توثيق الاتحاد والانسجام بين المسلمين أكثر لإخافة الأعداء.
ثانياً: تجديد الروح الدينية وتصعيد معنويات المسلمين.
ثالثاً: توعية الناس على المعارف الإسلامية والأحداث السياسية والاجتماعية المهمة.
رابعاً: إيجاد التعاون لحل المشكلات العامة التي تواجه المسلمين.

---

٨. أنظر: تفسير الأمثل، ج١٨، ص٣٤٣، .٣٤٤

٨. إن عبارة ابتغوا من فضل الله أو ما يشابهها من تعابير، وردت في القرآن الكريم للحث على طلب الرزق والكسب والتجارة، لكن الظاهر أن مفهوم هذه الجملة أوسع من ذلك بكثير. لهذا فسرها بعضهم بعيادة المريض وزيارة المؤمن وطلب العلم والمعرفة، ولم يحصروها بهذه المعاني كذلك.

وجاء في الحديث أن الرسول(ص)كان يمشي في السوق بعد صلاة الجمعة[١].

وبالطبع فإن هذا العمل مستحباً وليس واجباً[٢].

٩. من الآداب المهمة بعد إقامة صلاة الجمعة هي ذكر الله تعالى، ومن مصاديق ذكر الله التوجه إليه في أثناء المعاملات والتفكر وعدم الانحراف عن الحق؛

١٠. وإن الذكر الممزوج بالتفكر هو سبب الفوز في جميع الحالات. ومما لا شك فيه أن استمرار الذكر والمداومة عليه يرسخ الخوف من الله ويعمقه في نفس الإنسان، ويجعله يستشعر ذلك في أعماق نفسه، ويقضي نهائيا على أسباب الغفلة والجهل اللذين يشكلان السبب الأساس لكل الذنوب، ويضع الإنسان في طريق الفلاح دائما. وهناك تتحقق حقيقة لعلكم تفلحون.

١١. إن انتشار الناس في الأرض بعد صلاة الجمعة موجب لانتقال الأخبار السياسية والاجتماعية والنشاط المعنوي وروح التقوى عن طريق الخطبتين بين المصلين، وحينما ينتشرون في المناطق الأخرى التي لا يوفق فيها الناس لإقامة صلاة الجمعة، فإنهم يستفيدون من أولئك المصلين ويطلعون على مجريات الأمور.

دروس وعبر

١. الاهتمام بصلاة الجمعة: " إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ...".

٢. إن أقامة المراسم العبادية، السياسية في صلاة الجمعة يكون أكثر نفعاً:"...وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ...".

٣. في كل وقت يؤذن فيه لصلاة الجمعة تعطل الأعمال ويسارع إلى المصلى: "...وَذَرُوا الْبَيْعَ...".

٤. عدم نسيان الآداب بعد صلاة الجمعة حتى يحصل الفلاح: " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ... لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ".

٥. نقل خطابات صلاة الجمعة إلى مناطق مختلفة: "... فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ...".

---

٩. ما هو معلوم أصوليا " أمر بعد الحظر والنهي " - دليل على الجواز والإباحة.

١٠. أنظر: تفسير الأمثل، ج١٨، ص٣٣٥.

٦. بعد صلاة الجمعة يسعى إلى فضل الله وبركته: "... وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ...".
٧. الإكثار من ذكر الله تعالى بعد صلاة الجمعة: "... وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا...".
٨. أن تتغير تصرفات الإنسان قبل وبعد صلاة الجمعة.

الخلاصة

١. حيث أضفى الإسلام أهمية لثلاثة أنواع من التجمعات، التجمع اليومي لصلاة الجماعة، والتجمع الأسبوعي لصلاة الجمعة، والتجمع السنوي لأداء مراسم الحج.
٢. أول جمعة أقامها الرسول (ص)مع أصحابه فكانت بعد وصوله إلى المدينة بأربعة أيام، وكان وصوله يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول.
٣. وردة التوصية في صلاة الجمعة بسرعة الحركة حتى يدرك المصلي خطبتي الصلاة مما يوحي إلى أهمية صلاة الجمعة.
٤. من مصاديق ذكر الله التوجه إليه في أثناء المعاملات والتفكر وعدم الانحراف عن الحق.
٥. إن انتشار الناس في الأرض بعد صلاة الجمعة موجب لانتقال الأخبار السياسية والاجتماعية والنشاط المعنوي وروح التقوى عن طريق الخطبتين بين المصلين.

بسمه تعالی

التفسير التمهيدی

(الدرس ۲۱)

کارشناسی

المقدمة

سنتطرق في هذا الدرس إلى تفسير مختصر للآية الأخيرة من سورة الجمعة وهي الآية الحادية عشرة منها والتي تبين حال بعض المسلمين الذين تفرقوا عن النبي(ص)في الصلاة وانشغلوا بالتجارة واللعب واللهو والآية في صدد عقد مقارنة بين الثواب الإلهي والنفع التجاري واللهو واللعب، سنذكر شأن نزول الآية ونبين معاني بعض المفردات ونشير إلى بعض النقاط المهمة والدروس والعبر المستخلصة منها.

محتوا

الآية الحادية عشرة

"وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ".

توضيح

أشارة الآيتان السابقتان إلى صلاة الجمعة وآدابها، وهذه الآية تعاتب عدداً من المسلمين في مورد صلاة الجمعة فتقول: «...وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا...». وتقارن الآية في ختامها بين الثواب الإلهي والنفع التجاري فتقول:«...قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ».

شأن النزول

بينا رسول الله يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ثم أخذ بني الخزرج ثم أخذ بني زيد بن مناة من الشام بتجارة وكان إذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق إلا أتته وكان يقدم إذا قدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق أو بر أو غيره فينزل عند " أحجار الزيت "، وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج إليه الناس ليتبايعوا معه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم ورسول الله قائم

على المنبر يخطب فخرج الناس لم يبق في المسجد إلا إثنا عشر رجلا وامرأة فقال(ص): لولا هؤلاء لسومت عليهم الحجارة من السماء وأنزل الله هذه الآية[١].

المفردات

١. اللهو: ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه[٢].

٢. الرزق: يقال للعطاء الجاري تارة، دنيويا كان أم أخرويا، وللنصيب تارة، ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة[٣].

٣. التجارة: التصرف في رأس المال طلبا للربح؛ وأمَّا **البيع:** إعطاء المثمن وأخذ الثمن، والشراء: إعطاء الثمن وأخذ المثمن، ويقال للبيع: الشراء، وللشراء البيع، وذلك بحسب ما يتصور من الثمن والمثمن[٤].

ملاحظات

١. الآية توبخ مصلي الجمعة الذين تركوا النبي(ص) وتقول لهم لماذا تنشغلون بالتجارة والربح وتتركون النبي(ص)وتذهبون إلى السوق، ومفهوم الآية شامل للموارد المشابهة.

٢. المقصود بالتجارة هي القافلة التي قدمت من الشام إلى المدينة، والتعبير بـ " اللهو " إشارة إلى الطبل وسائر آلات اللهو التي كانت تستعمل عند دخول قافلة جديدة إلى المدينة. فقد كانت تستعمل كإعلان و إخبار عن دخول القافلة، إضافة إلى كونها وسيلة للترفيه والدعاية واللهو، وهذا لا يمنع شمولها للموارد الأخرى من اللهو التي ترافق إقامة صلاة الجمعة، والتي تمنعهم من الحضور.

٣. التعبير بـ " قائما " يكشف عن أن الرسول(ص) كان واقفا يلقي خطبة الجمعة، وهكذا الحال في خطباء صلاة الجمعة في عصرنا فقد اتخذوها سنة.

٤. الآيات التي توبخ تاركي صلاة الجمعة علامة أهمية صلاة الجمعة، وجاء في حديث آخر عن الإمام الباقر (ع): « صلاة الجمعة فريضة والاجتماع إليها فريضة مع الإمام، فإن

---

١. أنظر: مجمع البيان، ج٩، ص٢٨٧؛ تفسير الأمثل، ج١٨، ص.٣٣٣

٢. أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة لهو؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١٠، .٢٤٧

٣. أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة رزق.

٤. أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة رزق.

ترك رجل من غير علة ثلاث جمع فقد ترك ثلاث فرائض ولا يدع ثلاث فرائض من غير علة إلا منافق»[١].

جاء رجل إلى الرسول(ص)فقال: يا رسول الله، إني تهيأت عدة مرات للحج ولكني لم أوفق. قال (ص): «عليك بالجمعة فإنها حج المساكين»[٢].

٥. ومن الجدير بالإشارة إليه أن فقه أهل البيت(ع)ينص على عدم جواز إقامة أكثر من جمعة واحدة في منطقة نصف قطرها فرسخ، أي ما يعادل (خمسة كيلومترات ونصف) وعليه فينبغي على الأفراد أن يجتمعوا في صلاة الجمعة ويشكلوا جمعاً عظيماً، وفي زمن حضور الإمام المعصوم تكون صلاة الجمعة واجبا عينياً؛ غير أنه في زمان الغيبة وطبقاً لفتاوى كثير من الفقهاء فإنها تكون واجباً تخييرياً، أي يكون المكلف مخيراً بينها وبين صلاة الظهر؛ ويحتاط بعض الفقهاء ويذهبون إلى أنه في زمان إقامة الحكومة الإسلامية فإن إمام الجمعة ينصب من قبل النائب العام للإمام(ع)ويشترك المسلمون في صلاة الجمعة[٣].

٦. المقصود من قوله تعالى (قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة) أن الثواب والجزاء الإلهي والبركات التي يحظى بها الإنسان عند حضوره صلاة الجمعة والاستماع إلى المواعظ والحكم وما ينتج عن ذلك من تربية معنوية واجتماعية، فإن نفعها جميعاً من الله ويجازي المصلين عليها.

دروس وعبر

١. عدم ترك صلاة الجمعة من اجل التجارة أو اللهو: "وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا...".

٢. عدم ترك القائد وإمام الجمعة لأعذار مادية.

٣. الفائدة الإلهية من إقامة صلاة الجمعة أكثر من النفع التجاري، فا ينبغي ترك الصلاة: "...قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ...".

٤. لا تتركوا الواجبات من أجل الرزق لأن الله وعدكم بأنه أفضل الرازقين: "... وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ".

---

٥. أنظر: وسائل الشيعة، ج٥، ص٤. ومن الواضح أن المقصود في هذه الأحاديث النفاق العملي وليس النفاق العقائدي؛ وهذا في صورة كون صلاة الجمعة واجباً وليس تخييرياً.

٦. أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة لهو؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١٠، ٢٤٧.

٧. أنظر: المصدر السابق، ج١٠.

الخلاصة

١. التعبير بـ " قائما " يكشف عن أن الرسول(ص) كان واقفا يلقي خطبة الجمعة، وهكذا الحال في خطباء صلاة الجمعة في عصرنا فقد اتخذوها سنة.

٢. عدم ترك صلاة الجمعة من اجل التجارة أو اللهو.

٣. الفائدة الإلهية من إقامة صلاة الجمعة أكثر من النفع التجاري، فا ينبغي ترك الصلاة.

بسمه تعالی

التفسير التمهيدی

(الدرس ٢٢)

کارشناسی

المقدمة

موضوعنا في هذا الدرس هو تفسير سورة التوحيد المباركة والهدف منه التعرف على التوحيد ومراتبه وعلى الصفات الإلهية، وسنبحث في خصائص سورة التوحيد والتي تتضمن أمور عامة حول السورة، وفضيلتها، والهدف منها، ومطالب فرعية متعلقة بالسورة، ومن ثمً نشرع بتفسير نختصر لهذه السورة فنبدأ بتوضيح لها ونذكر شأن النزول، ونبين معاني المفردات ونذكر أقسام التوحيد ونختتم الدرس بالإشارة إلى الدروس والعبر المستخلصة من هذه السورة العظيمة.

الأهداف

١. التعرف على التوحيد ومراتبه.

٢. معرفة بعض الصفات الإلهية.

محتوا

تفسير سورة التوحيد

خصائص سورة التوحيد

كليات

نزلت سورة التوحيد في المدينة، وهي أربع آيات، وخمس عشرة كلمة، وسبعة وعشرون حرفاً، وأما موقعها في ترتيب النزول فقد نزلت قبل سورة «الناس» وبعد سورة «النجم»، وهي السورة الحادية والعشرون وفق ترتيب النزول، وموقعها في المصحف فهي السورة الثانية عشرة بعد المائة.

وأسماء هذه السورة هي: الإخلاص، التوحيد، الأساس، نسبة الرب، النور، النجاة، قل هو الله أحد، الصمد، والاسمين الأخيرين مأخوذان من الآيتين الأولى والثانية، وأسماء أخرى من مضامينها ولوازم وصفات السورة.

فضيلتها

عن أبي الدرداء عن النبي(ص)قال: أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة قلت يا رسول الله و من يطيق ذلك؟ قال: اقرأوا قل هو الله أحد[١].

عن الإمام علي بن الحسين(ع)حول عظمة هذه السّورة قال: «إنّ اللّه عزّ وجلّ علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون، فأنزل اللّه تعالى: (قل هو اللّه أحد). والآيات من سورة الحديد إلى قوله تعالى: (وهو عليم بذات الصدور) فمن رام وراء ذلك فقد هلك»[٢].

ومن الواضح أن هكذا ثواب يعطى لمن يقرأ هذه السورة مع التفكر ويتحرك في مسير التوحيد.

هدف السورة

هدف هذه السورة هو إيضاح أبعاد التوحيد.

مطالب فرعية

١. الإشارة إلى توحيد الذات والصفات (الآيات ١و٢).
٢. الإشارة إلى أن الله تعالى هو المطلوب والمقصود النهائي للموجودات (آية ٢).
٣. الإشارة إلى نفي عقائد المسيحيين واليهود المتعلقة بابن الله (آية ٣).

تفسير السورة

يشير القرآن الكريم في سورة التوحيد إلى التوحيد الذاتي والصفاتي ونفي الولد والشبيه عن الله، فتقول: " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ *".

توضيح

تبدأ سور الإخلاص باسم الله، وتؤكد على «التوحيد» الذاتي والصفاتي فتقول: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ»، ومن ثمَّ تنفي السورة عقائد اليهود والمسيحيين المتعلقة

---

١. مجمع البيان، ج١٠، ص ٥٦١.
٢. أصول الكافي، ج١، باب النسبة، ح٣.

بنسبة الولد إلى الله ونسبة الشبيه له تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فتقول: «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ *».

شأن النزول

وقصة نزول هذه السورة روي أن جماعة من الكافرين طلبوا من النبي(ص) أن يصف الله[١]، وروى محمد بن مسلم عن أبي عبد الله(ع)قال أن اليهود سألوا النبي (ص)فقالوا أنسب لنا ربك فمكث ثلاثا لا يجيبهم ثم نزلت السورة[٢].

المفردات

١.أحد: قد يستعمل في المعنى الاسمي فيكون بمعنى «واحد» (شخص واحد)، وقد يستعمل مطلقا وصفا، وليس ذلك إلا في وصف الله تعالى[٣].

٢. الصمد: السيد: الذي يصمد إليه في الأمر.وقيل: الصمد الذي ليس بأجوف[٤].

٣. كفواً: «الكفو»: هو الكفء في المقام والمنزلة والقدر. ثمّ أطلقت الكلمة على كلّ شبيه ومثيل[٥].

ملاحظات

١. سورة التوحيد نسبة الله تعالى، وهي تعرف الله باسمه، وتحدد نسبته بأنه تعالى لا والد له ولا أم ولا ولد؛ وهي تعرف الله تعالى بجمل قصيرة وبصورة كاملة.

---

٣. قيل إنّ السائل عبد الله بن صوريا اليهودي، وقيل: إنّه عبد الله بن سلام سأل رسول الله ذلك بمكّة ثمّ آمن وكتم إيمانه. وقيل: إنّ مشركي مكّة سألوه ذلك. وقيل إنّ نصارى نجران هم الذين سألوا النّبي ذلك.

ولا تضاد بين هذه الرّوايات، إذ قد يكون هؤلاء جميعاً سألوا الرسول نفس هذا السؤال، فكان الجواب لهم جميعاً، وهو دليل آخر على عظمة هذه السّورة.

٤. بحار الأنوار، ج٣، ص ٢٢١؛ الميزان، ج٢٠، ص٥٤٦؛ تفسير الأمثل، ج٢٠، ص.٥٤٠

٥. أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة أحد.

٦. أنظر: نفس المصدر، مادة صمد، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٦، ص.٢٧٨

٧. أنظر: نفس المصدر، مادة كفء؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١٠، ص.٧٥

٢. في الرؤية الإسلامية أن الله تعالى واحد وهو مصدر لجميع القدرات والمحاسن، وهو وحده الجدير بالعبادة. وأن روح التوحيد جارية في جميع عقائد وأعمال المسلمين، فالتوحيد هو المحور الأساسي للدين الإسلامي فهو كالروح المبثوثة في الجسد.

٣. للتوحيد تقسيمات متعددة:

ألف) على أساس فروع التوحيد وهي أربعة:	الأول: توحيد الذات: وهو الاعتقاد بأن الله واحد لا شريك ولا مثيل له. الثاني: توحيد الصفات: أي إنّ صفاته لا تنفصل عن ذاته، ولا تنفصل عن بعضها. الثالث: التوحيد الأفعالي: التوحيد الأفعالي: ويعني أن كلّ وجود وكلّ حركة وكلّ فعل في العالم يعود إلى ذاته المقدّسة. الرابع: التوحيد في العبادة: أي تجب عبادته وحده دون سواه، ولا يستحق العبادة غيره[١]، وقد أشار القرآن الكريم إلى جميع مراتب التوحيد؛ غير أنه في هذه السورة أشير فقط إلى توحيد الذات وتوحيد الصفات.
ب) وفي تقسيم آخر	قسم التوحيد إلى توحيد الخالقية، توحيد الربوبية، التوحيد في التقنين والتشريع، التوحيد في المالكية، توحيد الحاكمية، توحيد الطاعة. وقد أشار القرآن الكريم إلى مراتب وفروع هذه الأقسام[٢].

١. للفلاسفة والمتكلمين والمفسرين أدلة متعددة لإثبات التوحيد نكتفي فقط بالإشارة إليها:

---

٨. أنظر: الحمد، ٥؛ الأنفال، ١٧.

٩. أنظر: الرعد، ٦؛ الأنعام، ١٦٤؛ المائدة، ٤٤؛ آل عمران، ١٨٩؛ الأنعام، ٥٧؛ النساء، ٥٩.

الف	برهان صرف الوجود
ب	البرهان العلمي
ج	برهان التمانع
د	دعوة الأنبياء إلى اللّه الواحد الأحد

ألف) برهان صرف الوجود: وملخصه أن اللّه سبحانه وجود مطلق لا يحده قيد ولا شرط، ومثل هذا الوجود سيكون غير محدود دون شك، فلو كان محدوداً لمُني بالعدم، والذات المقدّسة التي ينطلق منها الوجود لا يمكن أن يعترضها العدم والفناء، وليس في الخارج شيء يفرض عليه العدم، ولذلك لا يحدّه حدّ.

من جهة أُخرى لا يمكن تصوّر وجودين غير محدودين في العالم. إذ لو كان ثمّة وجودان لكان كلّ واحد منهما فاقداً حتماً لكمالات الآخر، أي لا يملك كمالاته ومن هنا فكلاهما محدودان. وهذا دليل واضح على وحدانية ذات واجب الوجود (تأمل بدقّة).

ب) البرهان العلمي: عندما ننظر إلى الكون الذي يحيط بنا، نلاحظ في البداية موجودات متفرقة... الأرض والسماء والشمس والقمر والنجوم وأنواع النباتات والحيوانات. وكلما ازددنا إمعاناً في النظر الفينا مزيداً من الترابط والإنسجام بين أجزاء هذا العالم وذراته، وظهر لنا أنّه مجموعة واحدة تتحكم فيها جميعاً قوانين واحدة.

ومهما تقدم العلم البشري اكتشف مزيداً من ظواهر وحدة أجزاء هذا العالم، وانسجامها.

ج) برهان التمانع: (الدليل العلمي الفلسفي)، وهو دليل آخر على إثبات وحدانية اللّه، مستلهم من قوله سبحانه: (لو كان فيهما آلهة إلاّ اللّه لفسدتا فسبحان ربّ العرش عمّا يصفون)[1].

د) دعوة الأنبياء إلى اللّه الواحد الأحد: وهو دليل آخر على وحدانية اللّه، إذ لو كان هناك خالقان كلّ واحد منهما واجب الوجود في العالم، لإستلزم أن يكون كلّ واحد منهما منبعاً للفيض. فلا يمكن لوجود ذي كمال مطلق أن يبخل في الإفاضة لأنّ عدم الفيض نقص بالنسبة للوجود الكامل. وحكمته تستوجب أن يشمل الجميع بفيضه.

---

١٠. أنظر: تفسير الأمثل، ج٢٠، ذيل آيا سورة التوحيد.

٥. ابتدأت سورة التوحيد بكلمة (قل) وهي تعني أن يظهر النبي(ص)معارف التوحيد والأمور المخفية للناس، ومن جانب آخر فيها إشارة صيانة الوحي ودقته في البيان؛ لأن النبي(ص)نقل إلينا حتى مفردة «قل» وهذا يعني أنه لم يغير أي شيء في الوحي.

٦. الضمير (هو) في الآية للمفرد الغائب ويحكي عن مفهوم مبهم، وهو في الواقع يرمز إلى أن ذاته المقدّسة في نهاية الخفاء، ولا تنالها أفكار الإنسان المحدودة وإن كانت آثاره أظهر من أي شيء آخر[١].

٧. «الله» اسم علم للباري سبحانه وتعالى. و مفهومها أن جميع صفات الجلال والجمال الإلهية أشير إليها بهذه الكلمة.

ولفظ الجلالة مشتق من معنى وصفي. قيل من «وله» أي تحيّر؛ لأنّ العقول تحيرت في ذاته المقدّسة. وقيل: إن لفظ الجلالة مشتق من «أله» بمعنى عبد، والإله: هو المعبود.

هذا الاسم المقدّس تكرر ما يقارب من «ألف مرّة» في القرآن الكريم، ولم يبلغه أي اسم من الأسماء المقدّسة في مقدار تكراره[٢].

٨. كلمة «أحد»: من الواحدة، ولذلك قال بعضهم: أحد وواحد بمعنى واحد، وهو المتفرد الذي لا نظير له في العلم والقدرة والرحمانية والرحيمية، وفي كل الجهات. ويطلق على الذات التي لا تقبل الكثرة لا في الخارج ولا في الذهن[٣].

٩. ومما هو جدير بالذكر في هذا المجال: أنّ أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين(ع)فقال: يا أمير المؤمنين، أتقول: إن الله واحد؟ فحمل النّاس عليه وقالوا: يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسّم القلب (أي تشتت الخاطر)؟ فقال: أمير المؤمنين(ع): «دعوه فإنّ الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم» أي نقاتلهم من أجل التوحيد.

ثمّ قال: يا أعرابي، إنّ القول في أنّ الله واحد على أربعة أقسام. فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّوجلّ، ووجهان يثبتان فيه. فأمّا اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل:

---

١١. أنظر: الرعد، ٦؛ الأنعام، ١٦٤؛ المائدة، ٤٤؛ آل عمرا، ١٨٩؛ الأنعام، ٥٧؛ النساء، ٥٩.

١٢. وقد أوضحنا اشتقاق كلمة «الله» في تفسير (بسم الله الرحمن الرحيم)، وأن أصلها من «وله» أو «آله ».

١٣. وفرق بعض المفسرين بين «أحد» و«واحد» وهو إن «أحد» تطلق على الذات التي لا تقبل الكثرة لا في الخارج ولا في الذهن. ولذلك لا تقبل العدّ ولا تدخل في زمرة الأعداد، خلافاً للواحد الذي له ثان وثالث، في الخارج أو في الذهن.(الميزان، ج٢٠، ص٥٤٣)، وقد اعتبر بعض المفسرين أن هذا الإختلاف لا ينسجم كثيراً مع ما جاء في القرآن الكريم والرّوايات(أنظر: تفسير الأمثل، ج٢٠، ٥٤٨).

واحد يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز، لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد. أمّا ترى أنّه كفر من قال إنّه ثالث ثلاثة؟ وقول القائل: هو واحد من النّاس يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز (قوله على اللّه) لأنّه تشبيه، وجلّ ربّنا وتعالى عن ذلك.

وأمّا الوجهان اللذان يثبتان فيه، فقول القائل: هو واحد ليس له في الأشياء شبه، كذلك ربّنا. وقول القائل: إنّه عزّوجلّ أحديّ المعنى، يعني به أنّه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، كذلك ربّنا عزّوجلّ»[١].

١٠. كلمة «صمد» في الأصل بمعنى القصد لأنّه يَصمِدُ إليه عباده بالدعاء والطلب[٢].

١١. أحد معاني الصمد الذي لا جوف له[٣]، وهذا ما نقل عن الإمام الحسين بن علي(ع)وفي علم الفيزياء اتضح أنّ كلّ مادة في العالم تتكون من ذرات. وكلّ ذرة تتكون من نواة تدور حولها الإلكترونات. وبين النواة والإلكترونات مسافة كبيرة نسبياً. ولو أُزيلت هذه الفواصل لصغر حجم الأجسام إلى حدّ كبير مدهش.

ولو أُزيلت الفواصل الذرية في مواد جسم الإنسان مثلاً، وكثفت هذه المواد، لصَغَر جسم الإنسان إلى درجة عدم إمكان رؤيته بالعين المجرّدة، مع احتفاظه بالوزن الأصلي!!.

وبعضهم استفاد من هذه الحقائق العلمية ليستنتج أنّ الآية تنفي عن اللّه كلّ ألوان الجسمانية، لأنّ واحداً من معاني «الصمد» هو الذي لا جوف له، ولما كانت كل الأجسام تتكون من ذرات، والذرات جوفاء، فالصمد نفي الجسمية عن ربّ العالمين[٤].

١٢. يعتقد بعض اليهود أن عُزَير ابن الله، كما أن غالب المسيحيين يعتقدون بوجود ابن لله، ويعتقد مشركو العرب أن الملائكة بنات الله، ولكن القرآن الكريم في هذه الآية المباركة ينفي جميع هذه العقائد الخرافية فالله تعالى لم يلد ولم يولد.

١٣. وفي رسالة كتبها الإمام الحسين بن علي(ع)قال في تفسير:

---

١٤. بحار الأنوار، ج٣، ص.٢٠٦

١٥. أنظر: معجم مقاييس اللغة ومفردات الراغب الأصفهاني وغيرها من كتب اللغة (مادة صمد).

١٦. مفردات الراغب الأصفهاني(مادة صمد).

١٧. وبذلك تكون الآية من المعاجز العلمية في القرآن.(تفسير الأمثل، ج٢٠، ص٥٥٢)، وقبول الإعجاز العلمي في هذه الآية بعيد ومحل إشكال؛ لأن الآية لا توجد فيها دلالة واضحة على هذا المعنى.

(لم يلد ولم يولد): «(لم يلد) لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس، ولا يتشعب منه البداوات (الحالات المختلفة) كالسنة والنوم، والخطرة والهم، والحزن والبهجة، والضحك والبكاء، والخوف والرجاء، والرغبة والسأمة، والجوع والشبع، تعالى أن يخرج منه شيء وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف،...»[١].

وهذه الرواية تشير إلى باطن الآية، فللتولد معنى واسع يشمل خروج وتفرع كلّ شيء من شيء.

١٤. «الكفو»: هوالكفء في المقام والمنزلة والقدر. ثمّ اطلقت الكلمة على كلّ شبيه ومثيل.

استناداً إلى هذه الآية، اللّه سبحانه منزّه عن عوارض المخلوقين وصفات الموجودات وكلّ نقص ومحدودية. وهذا هو التوحيد الذاتي والصفاتي. من هنا فهو تبارك وتعالى لا شبيه له في ذاته، ولا نظير له في صفاته، ولا مثيل له في أفعاله، وهو متفرد لا نظير له من كلّ الجهات[٢].

دروس وعبر

١. ينبغي أن نعلن رسالة التوحيد: " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ".

٢. جميع الموجودات تقصد الله تعالى"اللَّهُ الصَّمَدُ".

٣. أن الله واحد فلا نسب له: "لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ".

٤. أن نعرف أن الله أحد لا شبيه له: "وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ".

---

١٨. بحار الأنوار، ج٣، ص٢٢٤. تفسير الأمثل، ج٢٠، ٥٥٣.

١٩. أنظر: تفسير الأمثل، ج٢٠، ٥٥٤.

الخلاصة

١. الهدف الأساسي من سورة التوحيد هو بيان أبعاد التوحيد.

٢. هذه السورة تبين توحيد الذات وتوحيد الصفات، وواحد من أدلة التوحيد وهو برهان التمانع.

٣. كلمة «صمد» بمعنى القصد، واعتبرها البعض بمعنى الذي لا جوف له.

٤. في هذه السورة يرد الله تعالى عقائد اليهود في قضية عزير والمسيحيين في قضية عيسى، ويثبت أنه تعالى لم يلد ولم يولد.

بسمه تعالی

التفسير التمهيدی

(الدرس ٢٣)

کارشناسی

المقدمة

نهدف في هذا الدرس إلى تقديم تفسير مختصر لسورة القدر، وسنتحدث عن خصائص هذه السورة ونكر أموراً عامة متعلقة بها، ونشير إلى فضيلتها وأهدافها وبعض المطالب الفرعية، ونشرع بتفسير السورة وهو المشتمل على بيان معاني بعض المفردات المتعلقة بها مثل مفردة الملائكة، الروح، سلام، الفجر، وسنشير إلى النقاط المهمة المستلهمة من السورة والدروس والعبر.

محتوا

خصائص سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

كليات

نزلت سورة القدر على النبي(ص) في مكة، وهي خمس آيات، وثلاثون كلمة، ومائة واثنا عشر حرفاً، وهي قبل سورة «الشمس» وبعد سورة «عبس» بحسب ترتيب النزول، وأمَّا ترتيبها في المصحف الحالي فهي السورة السابعة والتسعون. أسماء هذه السورة هي: «القدر» و«إنا أنزلناه»، وهذان الاسمان مأخوذان من الآية الأولى من السورة.

فضيلتها

أبي بن كعب عن النبي(ص)«من قرأها أعطي من الأجر كمن صام رمضان و أحيا ليلة القدر»[١].

ومن الواضح أن هذا الثواب للشخص الذي يقرأ هذه السورة بتفكر وتدبر، مستفيداً من عظمة القرآن جاعلاً منه قانوناً في حياته.

أهدافها

المحور الأساسي لهذه السورة هو نزول القرآن في ليلة القدر وبيان أهمية هذه الليلة.

وأما الامور الفرعية التي تطرحها هذه السورة فهي:

---

١. مجمع البيان، ج١٠، ص٥١٦.

مطالب فرعية

١. تعيين مقدرات الإنسان في ليلة القدر (آية ٤).
٢. نزول الملائكة والروح في ليلة القدر (آية ٤).

تفسير سورة القدر

كليات

يشير القرآن الكريم في هذه السورة إلى نزول الكتاب العزيز في ليلة القدر وأهمية هذه الليلة، ونزول الملائكة وتقدير الأمور فيها، فيقول: "إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ".

توضيح

تبدأ سورة القدر بذكر اسم الله تعالى ورحمته ومظهر الرحمة الإلهية، وهي نزول القرآن وليلة القدر، فتقول:« إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » وفي الآيات التالية تشير إلى أهمية وعظمة ليلة القدر فتقول« وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ* الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ».
وتشير إلى الأمور التي تحدث في هذه الليلة فتقول:« تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ»، ومن ثمَّ تشير هذه السورة مرةً أخرى إلى عظمة ليلة القدر فتقول: «سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ».

المفردات

١. أنزل: النزول في الأصل هو انحطاط من علو، وفي باب الأفعال الإنزال (أعم من كونه إنزال مقامي أو مكاني، وكذا أعم من الإنزال التدريجي والدفعي).

٢. القدر: أصله بمعنى القدرة على القيام بعمل ما أو تركه وله فروع مختلفة منها التقدير بمعنى تنفيذ القدرة والتي لازمها التعيين والمحدودية؛ القدر بمعنى الحكم والعزم على انجاز عمل معين. قدر اسم مصدر بمعنى مقدار معين. القدر بمعنى التضييق والذي من لوازمه التقدير وقدر بمعنى التقدير وتعيين الحكم. [١].

---

٢. أنظر: معجم مقاييس اللغة، مادة قدر؛ مفردات الراغب الأصفهاني، مادة قدر؛ التحقيق في كلمات القرآن، ج٩، ص٢٠٥، ٢٠٦.

٣. الملائكة: المألك والمألكة والألوك: الرسالة، ومن هنا يقال ملائكة فإن كل واحد منها له رسالة ووظيفة خاصة به[١]، وذهب بعض اللغويين إلى أنها جمع ملكية من مادة «ملك»بمعنى التسلط على الشيء، واعتبر البعض أن أصلها عبري[٢].

٤.الروح: من مادة «رَوح» بمعنى الراحة[٣]، وعدما تستعمل في قبال الجسم يقصد بها البعد المجرد في وجود الإنسان. وقد أطلقت في القرآن على الملك[٤].

٥. سلام: السلم والسلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، والسلام اللفظي بمعنى الدعاء وطلب السلامة[٥].

٦. فجر: شق الشيء شقا واسعا، ومنه قيل للصبح: فجر، لكونه فجر الليل[٦].

ملاحظات

١. ورد في آيات متعددة كلام حول نزول القرآن، منها سورة البقرة حيث تشير الآية إلى أن القرآن الكريم نزل في شهر رمضان[٧]، وقد أشارة سورة الدخان إلى أن القرآن نزل في ليلة مباركة يفرق فيها كل أمر حكيم[٨].

ومن هذه الآيات نستفيد ما يلي:

أولاً	نزول القرآن في الليل.
ثانياً	تلك الليلة كانت في رمضان.
ثالثاً	ليلة نزول القرآن، ليلةٌ مباركة.
رابعاً	في تلك الليلة تعين مقدرات العباد.

---

٣. أنظر: معجم مقاييس اللغة، مادة قدر؛ مفردات الراغب الأصفهاني، مادة قدر؛ التحقيق في كلمات القرآن، ج٩، ص٢٠٥، ٢٠٦.

٤. أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة «الك».

٥. أنظر: مجمع البيان، ج٥، ص٣٩٣.

٦. أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة «روح».

٧. أنظر: نفس المصدر، مادة «سلم».

٨. أنظر: نفس المصدر، مادة «فجر».

٩. " شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى...".(البقرة، ١٨٥).

١٠. " إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ".(الدخان، ٣، ٤).

٢. لماذا أطلق على ليلة نزول القرآن ليلة القدر؟ وقد طرح المفسرون عدة احتمالات منها:

الف	لأنّها الليلة التي تعيّن فيها مقدرات العباد لسنة كاملة.
ب	إنّها سمّيت بالقدر لما لها من قدر عظيم وشرف كبير.
ج	وقيل لأنّ القرآن بكل قدره ومنزلته نزل على رسول الأكرم(ص)بواسطة المَلك العظيم في هذه الليلة.
د	إنّها الليلة التي قُدّر فيها نزول القرآن.
ه	إنّها الليلة التي من أحياها نال قدراً ومنزلة.
و	وقيل أيضاً لأنّها الليلة التي تنزل فيها الملائكة حتى تضيق بهم الأرض لكثرتهم.

كل هذه التفاسير يستوعبها المفهوم الواسع لليلة القدر مع أنّ التّفسير الأوّل أنسب وأشهر[1].

٣. أشير في الآيات إلى عظمت ليلة القدر من عدة جهات:

الأولى	ليلة القدر وعاء لنزول القرآن.
الثانية	تقول للنبي(ص)وما أدراك ما ليلة القدر؟
الثالثة	ليلة القدر أفضل من ألف شهر.
الرابعة	هذه الليلة هي ليلة نزول الروح والملائكة.
الخامسة	ليلة القدر هي ليلة الخير والبركة والرحمة والبركة.

١١. أنظر: تفسير الأمثل، ج٢٧، ص ٣٤٦، ٣٤٧.

٤. وهنا يطرح السؤال التالي أية ليلة هي ليلة القدر؟ وجاء في الروايات أن النبي(ص) والأئمة(ع) سئلوا مراراً عن هذا السؤال، وهم يعلمون جيداً بعدم توقيت لتعيينها للناس حتى يبقى الناس مستيقظين لعدة ليالي منشغلين بالدعاء والعبادة.

النبي(ص)كان يحي العشر الأواخر من شهر رمضان ويقضيها في العبادة.

وروي عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق(ع)قال: «التقدير في ليلة القدر تسعة عشر، والإبرام في ليلة إحدى وعشرين، والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين»

وروي عن الإمام الصادق(ع)أنّها الليلة الحادية والعشرون أو الثّالثة والعشرون. وعندما أصر عليه أحدهم في تعيين واحدة بين الليلتين لم يزد الإمام على أن يقول: «ما أيسر ليلتين فيما تطلب!!»[1].

ويستفاد من أحاديث أخرى التأكيد على أهمية الليلة الثالثة والعشرين وحتى مع احتمال المرض الذهاب إلى المسجد وإيقاظ الصغار. أيضا في رواية عبد الله بن بكير عن زرارة عن أحدهما(س)قال: ليلة ثلاث و عشرين هي ليلة الجهني، و حديثه أنه قال لرسول الله (ص). إن منزلي نائي عن المدينة فمرني بليلة أدخل فيها فأمره بليلة ثلاث و عشرين.

٥. في هذه الآيات إشارة إلى عظمت القرآن بهذا النحو:

أولاً: نزول هذا الكتاب في ليلة عظيمة وهي ليلة القدر.

ثانياً: الله الذي أنزل القرآن، ومن هنا فإن التعبير «ما» دال على العظمة.

٦. عبارة (إنّا أنزلناه) فيها إشارة أُخرى إلى عظمة هذا الكتاب السماوي. فقد نسب اللّه نزوله إليه، وبصيغة المتكلم مع الغير أيضاً، وهي صيغة لها مفهوم جمعي وتدل على العظمة.

٧. وهنا يطرح السؤال التالي ما هو المقصود من نزول القرآن في ليلة القدر؟ وقد أجاب المفسرون بجوابين:

الأول: نظراً للنزول التدريجي خلال ٢٣عام على النبي(ص)، حيث بدأ نزول القرآن في ليلة القدر واستمر نزوله في طوال حياة(ص)[2].

---

١٢. نور الثقلين، ج٥، ص٦٢٦

١٣. وهذا الجواب قبله الشيخ معرفة^(أنظر: محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، مبحث نزول القرآن) وشاهده هو أن الآيات الأخيرة من سورة القدر لا يمكن أن تنزل قبل آية "إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ"؛ لأن الآية لأولى تخبر بأن نزولها تم في الماضي.

الثاني: للقرآن نزولان دفعي وتدريجي: النزول الدفعي وهو نزول القرآن بأجمعه على قلب النّبي(ص)أو على البيت المعمور، أو من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.

والنزول التدريجي، وهو ما تمّ خلال (٢٣) سنة من عصر النبوّة[١].

ولا مانع من أن تكون السورة تشير إلى كلا الأمرين، أي النزول الدفعي وبدأ النزول التدريجي، كلاهما في ليلة القدر؛ ولكن التفسير الأول أنسب[٢].

٨. إن نزول القرآن والملائكة لا يعني النزول المكاني؛ بل هو نزول مقامي ووجودي، بمعنى النزول من المراتب العالية ـ من عند الله ـ إلى المراتب الأدنى حتى تقترب من الإنسان، ويكون القرآن قابلاً لفهم الإنسان.

٩. ورد في هذه الآيات «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فيها»[٣]. ومقدرا الأمور تتعين فيها؛ وهذا لا يعني الحكم بالجبر على مصير الإنسان فلا تكون له إرادة واختيار ؛ بل أن التقدير الإلهي يكون على أساس أهلية الأفراد، والإنسان يهيء الأرضية للحصول عليه، ومن جانب آخر أن بعض هذه المقدرات ليست حتمية وهي قابلة للتغيير والإنسان يمكنه وفي مقام تحق الأمور أن يقرر مصيره بنفسه[٤].

١٠. ما هو المقصود بـ «الروح»؟ وقد اختلف المفسرون فقيل: إنّه جبرائيل الأمين، ويسمّى أيضاً الروح الأمين. وقيل: إنّ الروح بمعنى الوحي.

وروي أنّ الإمام الصادق(ع)سئل عن الروح وهل هو جبرائيل، قال: «جبرائيل من الملائكة، والروح أعظم من الملائكة، أليس أنّ اللّه عزّو جلّ يقول: تنزل الملائكة والروح»؟[٥].

---

١٤. وهذا رأي كثير من المحققين والمفسرين من جملتهم صاحب الميزان، وصاحب تفسير الأمثل، وشاهدهم على ذلك هو التفاوت بين معنى الإنزال والتنزيل.(أنظر: تفسير الأمثل، ج٢٠، ص ٣٤٢؛ الميزان، ج٢، ص ٤٦٩).

١٥. نعتقد أن مفردتي «الإنزال» و«التنزيل» في القرآن كلاهما تستعملان في النزول التدريجي (أنظر: سورة الشورى، ٢٨؛ البقرة، ١٦٤) ولا يوجد دليل قاطع ومعنى وفائدة تتحصل للنزول الدفعي.

١٦. «تنزل» فعل مضارع يدل على الاستمرار (والأصل تتنزل) ممّا يدل على أنّ ليلة القدر لم تكن خاصّة بزمن النّبي الاكرم(صلى الله عليه وآله وسلم)، وبنزول القرآن، بل هي ليلة تتكرر في كل عام باستمرار.

١٧. أنظر: الميزان، ج٢٠، ص.٤٧١

١٨. تفسير البرهان، ج٤، ص٤٨١؛ تفسير الأمثل، ج٢٠، ص .٣٤٤

١١. (سلام هي حتى مطلع الفجر) والآية الأخيرة هذه تصف الليلة بأنّها مفعمة بالخير والسلامة والرحمة حتى الصباح.

القرآن نزل فيها، وعبادتها تعادل عبادة ألف شهر، وفيها تنزل الخيرات والبركات، وبها يحظى العباد برحمة خاصّة، كما إنّ الملائكة والروح تتنزل فيها... فهي إذن ليلة مفعمة بالسلامة من بدايتها حتى مطلع فجرها. والرّوايات تذكر أنّ الشيطان يكبل بالسلاسل هذه الليلة فهي ليلة سالمة مقرونة بالسلامة.

وإطلاق كلمة «سلام» على هذه الليلة بمعنى «سلامة» (بدلاً من سالمة) هو نوع من التأكيد كأن نقول فلان عدل، للتأكيد على أنّه عادل.

١٢. وفي قصة إبراهيم كما في الآية ٦٩ من سورة هود " وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُـشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا..." حين أُلقي إبراهيم(ع)في نار نمرود، جاءت إليه الملائكة وسلمت عليه فتحولت النّار إلى جنينة. ألا تتحول نار جهنم ببركة سلام الملائكة على المؤمنين في ليلة القدر إلى برد وسلام[1].

١٣. و«ألف شهر» تعني أكثر من ثمانين عاماً، حقّاً ما أعظم هذه الليلة التي تساوي قيمتها عُمُراً طويلاً مباركاً. وهذا يعني إذا أحيى الإنسان ليلةً واحدةً بالعبادة فإن الرحمة الإلهية والبركة تنزل عليه؛ بل يمكن القول أن ليلة القدر خير من آلاف الأشهر أيضاً[2]، نعم فإن هذه الليلة تتعين فيها مقدرات الإنسان وأي نحو من التوبة والدعاء تكون مؤثرة في مصير ومقدرات الإنسان في المستقبل. وربما تكون هذه النكته تعود إلى ارتباط ليلة القدر بنزول القرآن في تلك الليلة.

بعبارة أخرى إن فضيلة ليلة القدر من جهة نزول القرآن وتعيين المقدرات في تلك الليلة هي فضيلة اضافية لتلك الليلة كما أن شهادة علي(ع)في الليلة الحادية والعشرين قد منحتها فضيلة أخرى.

١٤. وهنا يطرح السؤال التالي: فمع الالتفات إلى اختلاف طلوع وغروب الشمس واختلاف الليل والنهار في المناطق المختلفة للكرة الأرضية فكيف تكون ليلة القدر؟ وهل هذا ينسجم مع ما جاء في الرّوايات المؤكّدة على أنّ ليلة القدر ليلة معينة؟

---

١٩. الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج٣٢، ص.٣٦

٢٠. وهذا مبني على كون العدد (ألف شهر) للكثرة، يعني أفضل من كثير من الشهور.

والجواب هو أنَّ الليل هو ظل نصف الكرة الأرضية على النصف الآخر من هذه الكرة، ونعلم أن هذا الظل يتحرك بتحرك الكرة الأرضية، ويدور دورة كاملة في أربع وعشرين ساعة من هنا يمكن أن تكون ليلة القدر دورة كاملة لليل حول الأرض، أي تكون هذه الليلة مدّة أربع وعشرين ساعة من دوران الظلام حول الكرة الأرضية بأجمعها، تبدأ من نقطة وتنتهي عند نقطة أخرى[1].

دروس وعبر

١. نزل القرآن الكريم في ليلة عظيمة القدر، فينبغي التعرف عليها وإحيائها: "إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ".

٢. إدارك عظمت ليلة القدر ليست ميسرة لأي شخص: "وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ".

٣. ليلة القدر هي ليلة تعيين مقدرات الأمور فاحيائها بالتوبة والدعاء يمهد لنيل المقدرات الحسنة.

٤. تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر، وهي ليلة خير وسلامة وبركة؛ إذن ينبغي اليقظة والاستفادة من هذه البركات: "تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ".

مصادر للمطالعة

١. تفسير الأمثل، ج٢٠، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

٢. تفسير الميزان، ج٢٠، السيد محمد حسين الطباطبائي.

٣. تفسير نور الثقلين، المجلد الأخير، العروسي الحويزي.

٤. التمهيد في علوم القرآن (مبحث نزول القرآن) الشيخ محمد هادي معرفة.

---

٢١. الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج٣٢، ص٣٦.

الخلاصة

١. الهدف الأساسي لسورة القدر هو بيان زمان نزول القرآن وأهمية ليلة القدر.

٢. ليلة القدر هي ليلة البدء بنزول القرآن، الليلة المباركة التي تقدر فيها الأمور.

٣. كلمة «الروح» في هذه السورة تعني جبرائيل، أو الوحي، أو الملك العظيم الذي هو اكبر من بقية الملائكة.

٤. تمتد ليلة القدر إلى ٢٤ ساعة في جميع الكرة الأرضية.

بسمه تعالی

التفسیر التمهیدی

(الدرس ٢٤)

کارشناسی

المقدمة

ثمّة أهداف ثلاثة لهذا الدرس هي: التعرف على خصائص سورة الكوثر، ومعرفة نعمة الكوثر التي منحها الله لرسوله الكريم، ومعرفة مصير أعداء الرسول(ص) وأخذ العظة والاعتبار منهم، حيث سنتطرق إلى بيان أمور عامّة متعلقة بهذه السورة وفضيلتها، وخصائصها وأهدافها الثانوية، ونشرع بتقديم تفسير مختصر لهذه السورة نتناول فيه بيان شأن النزول، وشرح معاني بعض المفردات ونذكر ملاحظات مهمة تتعلق بالسورة الكريمة والدروس والعبر المستخلصة منها.

الأهداف:

١. التعرف على خصائص سورة الكوثر.

٢. معرفة نعمة الكوثر التي منحها الله لرسوله الكريم.

٣. معرفة مصير أعداء الرسول(ص) وأخذ العظة والاعتبار منهم

محتوا

خصائص سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

كليات

نزلت سورة الكوثر على النبي(ص)في مكة[١]، وهي ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفاً. وهي السورة الثامنة بعد المائة بحسب ترتيب النزول ونزلت بعد سورة «العاديات» وقبل سورة «التكاثر».

الاسم الوحيد لهذه السورة «الكوثر» مأخوذ من أوّل آية فيها، ويعني الخير الكثير.

١. احتمل بعض المفسرين أن السورة نزلت مرّتين في مكّة والمدينة، لكن الرّوايات في سبب نزول السّورة تؤيد أنّها مكّية(أنظر: تفسير الأمثل، ج٢٠، ص ٤٩١.

فضيلتها

عن أبي عبد الله (ع)«قال من قرأ إنا أعطيناك الكوثر في فرائضه و نوافله سقاه الله يوم القيامة من الكوثر و كان محدثة عند محمد(ص)»[1].

ومن الواضح أن هكذا ثواب يناله الشخص الذي يقرأ هذه السورة بتمعن، ويتحرك باتجاه الكوثر مقيماً للصلاة.

خصائصها

سورة الكوثر أقصر سورة في القرآن فهي ثلاث آيات، وقد استعملت فيها كلمات لمرةٍ واحدة في القرآن مثل (الكوثر، أبتر، أنحر).

أهدافها

المحور الأساسي لهذه السورة هو بيان النعم الإلهية على النبي(ص)ومواساة له؛ ولكن يمكن أن نذكر أهداف أخرى لهذه السورة، منها:

مطالب ثانوية

١. الإشارة إلى النعم الكثيرة للنبي(ص)، ومنه السيدة فاطمة الزهراء(س)(آية ١).
٢. بيان استمرار نسل النبي(ص)وقطع نسل أعدائه(آية ٣).
٣. الإشارة إلى الصلاة والنحر بعنوانهما نوع من الشكر للنعمة الإلهية(آية ٢).

تفسير سورة الكوثر

القرآن الكريم في هذه السورة يتعرض إلى منح الخير الوفير للنبي(ص)ويواسيه ويشير إلى أن نسل أعدائه هو المنقطع، فيقول: "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ".

توضيح

القرآن الكريم وبعد أن يذكر اسم الله تعالى يشير إلى الخير الكثير للنبي(ص) فيقول: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ». وفي الآية الأخير يشير إلى انقطاع نسل الأعداء، فتقول الآية تسلية للنبي(ص): «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ».

---

٢. الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج٣٢، ص٣٦.

شأن النزول

ذكر في سبب نزول السّورة: أنّ «العاص بن وائل» رأى رسول اللّه(ص)يخرج من المسجد، فالتقيا عند باب بني سهم، وتحدثا، وأُناس من صناديد قريش جلوس في المسجد. فلما دخل «العاص» قيل له من الذي كنت تتحدث معه؟ قال: ذلك الأبتر. وكان قد توفي عبد اللّه بن رسول اللّه(ص) وهو من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتر. فسمته قريش عند موت ابنه أبتر. (فنزلت السّورة تبشر النّبي بالنعم الوافرة والكوثر وتصف عدوّه بالأبتر) [١].

المفردات

١. الكوثر: من مادة (كثر) قيل: وهو فَوْعلٌ من الكَثْرة، وبمعنى الخير الكثير، وهو الشيء الذي يزداد إلى آخر الحد [٢].

٢. النحر: موضع القلادة من الصدر. ومنه: نحر البعير[٣].

٣. شانئك: شنأته: تقذرته بغضا له، الشانئ اسم فاعل بمعنى المبغض[٤].

٤. أبتر: يستعمل في قطع الذنب، ثم أجري قطع العقب مجراه. فقيل: فلان أبتر: إذا لم يكن له عقب يخلفه[٥].

ملاحظات

١. أنّ النّبي كان له ولدان من أُم المؤمنين خديجة(س)أحدهما «القاسم» والآخر «الطاهر» ويسمى أيضاً عبد اللّه[٦]. وتوفي كلاهما في مكّة. وأصبح النّبي من دون ولد. هذه المسألة وفرت للأعداء فرصة الطعن بالنّبي فسمّوه الأبتر العرب حسب

---

٣. أنظر: مجمع البيان، ج١٠، ص٥٤٩.

٤. أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة كثر؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١٠، ص٣٦.

٥. أنظر: مفردات الراغب الأصفهاني، مادة نحر.

٦. أنظر: نفس المصدر؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، جد٦، ص١٢٤.

٧. نفس المصدر، مادة بتر؛ نفس المصدر، ج١، ص٢٠٨.

٨. إن للرّسول إبن آخر من «مارية القبطية» اسمه إبراهيم. ولد في الثامنة للهجرة بالمدينة، ولكنّه توفي أيضاً قبل بلوغ الثّانية من عمره، وحزن عليه الرسول كثيراً.(أنظر: تفسير الأمثل، ج٢٠، ص٤٩٤).

تقاليدها كانت تعير أهمّية بالغة للولد، وتعتبره امتداداً لمهام الأب. بعد وفاة عبد اللّه خال الأعداء أنّ الرسالة سوف تنتهي بوفاة الرّسول(ص).

١. سورة الكوثر تعلن عدة أخبار أساسية واعتبرها البعض أنها نزلت لتردّ على هؤلاء الأعداء بشكل إعجازي[1]:

الأول	اللّه تعالى أعطى الخير الكثير للنبي(ص)وهو انتصار الإسلام على الكفر[2]، وحباه بالسيدة فاطمة الزهراء(س)ليدوم نسله.
الثاني	انقطاع نسل أعداء رسول اللّه(ص)، فلم تبق تلك العظمة والأبهة، كما حدث هذا لمشركي مكة (العاص بن وائل وأمثاله) حيث انقرض نسلهم ولم يبق أسم ولا رسم لهؤلاء.

٣. كلمة «الكوثر» من الكثرة، وبمعنى الخير الكثير، ويسمى الفرد السخي كوثراً. وفي معنى «الكوثر» ذكر ستة وعشرون احتمالاً[3]، ومنها: كثرة ذرية وقيل: كثرة النسل والذرية وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة(س)حتى لا يحصى عددهم، وقيل نهر في الجنة[4]، وقيل هو حوض النّبي الذي يكثر النّاس عليه يوم القيامة[5]. وقيل: هو هو النّبوة والكتاب، وقيل: هو القرآن. وقيل: كثرة الأصحاب والأشياع. وقيل: هو وروي عن الصادق(ع)أنّه الشفاعة، وقيل هو انتصار النبي(ص)في الحروب، وكذا علماء

---

٩. نفس المصدر، ج٢٠، ص.٤٩٤

١٠. جملة (أعطيناك) ماضي، وهذا الفعل وإن جاء بصيغة الماضي، قد يعني المستقبل الحتمي الوقوع (تفسير الأمثل، ج٢٠، ص٥٠٠).

١١. وهذه الموارد ذكرتها الروايات المنقولة عن النبي@وأهل بيته #.(أنظر: تفسير الصافي، ج٥، ص٣٨٢).

١٢. نفس المصدر.

١٣. نفس المصدر

أمته[١]. وكذلك نهر الجنة الذي يجري بين البشر، وارتواء الجميع من حوض الكوثر وهو علوم آل محمد(ص). وهذه السيدة الزهراء هي أصل شفاعة الأمة وأبنائها المعصومون امتداد للنبوة فهم حماة القرآن وبفضل قيادتهم تحققت الانتصارات العلمية والمعنوية للمسلمين.

٤. بين في هذه السورة أن شكر نعمة الكوثر للنبي(ص)يجب أن يكون بإقامة الصلاة وبالنحر. كثير من المفسّرين يعتقدون أنّ الآية تقصد الصلاة والأضحية يوم العيد. لكن مفهوم الآية عام و واسع. وصلاة عيد الأضحى والنحر فيه من مصاديق الآية البارزة. وهذه السورة تعليم لجميع القادة الإلهيين والمسلمين ومن اجل شكر النعم العظيمة فينبغي أن يصلون و ينحروا حتى تستحكم العلاقة بينهم وبين الله ولكي يرفعوا حاجاتهم المعنوية والحاجات المادية عن لمساكين

٥. كلمة «وانحر» من النحر، وهو ذبح الناقة. وقد يكون ذلك لأهمية الناقة بين أنواع الأضاحي. والمسلمون الأوائل كانوا يعتزون بالإبل، ونحرها يحتاج إلى إيثار كثير.

وذكر للآية المباركة تفسيران آخران. لمقصود من كلمة (وانحر) أن استقبل القبلة في الصلاة. لأنّ النحر أعلى الصدر، والعرب تستعمل الكلمة لإستقبال الشيء فيقولون: منازلنا تتناحر، أي تتقابل.

المقصود رفع اليد عند النحر لدى التكبير ولذا ورد في الرّواية أنّه لما نزلت هذه السّورة قال النّبي لجبريل: «ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربّي؟» قال: «ليست بنحيرة، ولكنّه يأمرك إذا تحرّمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت، فإنّه صلاتنا وصلاة الملائكة في السماوات السبع. فإن لكلّ شيء زينة، وإنّ زينة الصلاة رفع الأيدي عند كلّ تكبيرة»[٢].

والتّفسير الأوّل أنسب، لأنّ المقصود هو الردّ على أعمال المشركين الذين كانوا يعبدون وينحرون لغير اللّه، ولكن لا مانع من الجمع بين هذه المعاني، خاصّة وقد وردت بشأن

---

١٤. أنظر تفسير الأمثل وتفسير الفخر الرازي، ذيل الآية.

١٥. مجمع البيان، ج١٠، ص٥٥٠؛ الصافي، ج٥، ص٣٨٣.

رفع اليد عند التكبير روايات كثيرة في كتب الشيعة والسنة. وبذلك يكون للآية مفهوم جامع يشمل هذه المعاني أيضاً.

الخلاصة

تعرضنا في هذا الفصل إلى خصائص سورة الكوثر (اسمها، فضائلها، خصائصها، مضامينها وأهدافها)، ثم تطرقنا إلى مفردات من قبيل الكوثر، النحر، شانئ، أبتر. كما تمت الإشارة إلى قصة العاص بن وائل في شأن نزول السورة، واتضح أن الله تعالى منح نبيه الكوثر وهي السيدة فاطمة الزهراء(س)، وتنبأ بانقطاع نسل أعدائه مما يعد إعجازاً غيبياً، وهذا درس فيه الكثير من العبر لجميع أعداء الإسلام.

بسمه تعالی

التفسير التمهيدی

(الدرس ٢٥)

کارشناسی

المقدمة

هذا الدرس هو تتمة للدرس الذي قبله مع إضافات لما يحتاج إليه المفسر عند قيامه بتفسير القرآن الكريم، وسنشير إلى ثلث نقاط مستلهمة من السورة الأولى تتعلق ببيان معنى الشانئ ودلالات هذه الكلمة وبيان معنى الأبتر والثانية إشارة إلى النسل الكثير للنبي(ص) من السيدة الزهراء(س)، والثالثة دلالة مفردة أعطيناك، ثم نتطرق إلى الدروس والعبر المستخلصة من السورة الشريفة.

محتوا

تتمة الملاحظات

٦.«أبتر» في الأصل هو الحيوان المقطوع الذنب. وصدر هذا التعبير من أعداء الإسلام لإنتهاك الحرمة والإهانة. وكلمة (شانيء) فيها إيحاء بأنّ عدوك لا يراعي أية حرمة ولا يلتزم بأي أدب، أي أنّ عداوته مقرونة بالفظاظة والدناءة. وبقرينة المقابلة بين كلمة «أبتر» و «الكوثر» يتضح أن المقصود الأصلي للكوثر هو ذرية رسول الله(ص)أي السيدة فاطمة الزهراء(س).

٧. لم يبق للنبي سوى ريحانة واحدة هي السيدة فاطمة الزهراء(س) ونسل الرسول(ص) انتشر في العالم بواسطة هذه البنت الكريمة... ففي القرن الخامس عشر الهجري أي الحادي والعشرين الميلادي قدر ما بين خمسين إلى مائة مليون شخص من السادة وكثير من علماء الإسلام كانوا منهم. فالبلدان الإسلامية تفتخر أنها من أبناء رسول الله(ص)؛ وأمَّا نسل أعداء نبي الإسلام فلم يبق لهم اسم ولا أثر.

٨. عبارة «أعطيناك» تدل على عظمة هذا العطاء، كما نلاحظ أن اللّه سبحانه ذكر نفسه بصيغة الجمع (ضمير المتكلم مع الغير): (إنا أعطيناك الكوثر).

هذا التعبير لبيان عظمته جلّت قدرته. فالعظماء حين يتحدثون عن أنفسهم، فلا يعنون بشخصهم فقط بل يخبرون عمن تحت إمرتهم. وهي كناية عن القدرة والعظمة وعن وجود من يأتمر بأمرهم.

دروس وعبر

١. إن خط نبي الإسلام(ص)مستمر وخط أعدائه منقطع.

٢. الله تعالى يعوض أوليائه الذين تجشموا العناء، ويعطيهم الخير الوفير.
٣. كلما أعطانا الله سبحانه وتعالى نعمة عظيمة ينبغي أن نشكره بالصلاة والنحر.
٤. التأمل والاعتبار بانقطاع نسل مخالفي النبي(ص).
٥. كل شخص يقدم خطوة في سبيل الله فإنه يدافع عنه.

مصادر للمطالعة

١. تفسير الأمثل، ج٢، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
٢. تفسير الميزان، ج٢٠، السيد محمد حسين الطباطبائي.
٣. الكتب التاريخية التي تتحدث عن حياة السيدة فاطمة الزهراء(س).

الخلاصة

تعرضنا في هذا الفصل إلى خصائص سورة الكوثر (اسمها، فضائلها، خصائصها، مضامينها وأهدافها)، ثم تطرقنا إلى مفردات من قبيل الكوثر، النحر، شانئ، أبتر. كما تمت الإشارة إلى قصة العاص بن وائل في شأن نزول السورة، واتضح أن الله تعالى منح نبيه الكوثر وهي السيدة فاطمة الزهراء(س)، وتنبأ بانقطاع نسل أعدائه مما يعد إعجازاً غيبياً، وهذا درس فيه الكثير من العبر جميع أعداء الإسلام.